

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



وزارة الحربية والبحرية

المتحف الحربي

فَلَعَا تَمِصُ

من السلطان صلاح الدين
إلى الملك فاروق الأول

القائم مقام

عبد الرحمن زكي

مدير المتحف الحربي

وعضو المجلس الأعلى للآثار العربية

حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم "فاروق الأول"

القائد الأعلى للجيش

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٥٠



حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم "فاروق الأول"

القائد الأعلى للجيش

فهرس الكتاب

٧٧ ... (١٠٨١ - ٨٢٤٤) ...

صفحة

التصدير ... (٢٦٢١ - ٥٠٨١) ...

القلعة في العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) ... ١

موضع قاعدة الجبل - أسباب بناء القلعة - صفة القلعة -
تحصين القاهرة - البئر - فترة انتقال - القلعة في عهد
السلطان الكامل - أبراج الحمام - خزانة الكتب - القاعة
الصالحية - موجز أعمال العصر الأيوبي في القلعة ... ١ - ١٢

القلعة في عهد السلاطين البحريين (١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) ... ١٣

الظاهر بيبرس - السلطان قلاوون - الناصر محمد بن
قلاوون - الجامع - البرج - الايوان - القصر الأبلق -
القصور الجوانية - السبع قاعات - باب النحاس -
باب القلعة - دار النيابة - الطباقي - الطبليخانة - الحوش -
الاستطبيلات - الميدان - قناطر مياه القلعة - القلعة
في اعقاب عصر الملك الناصر محمد بن قلاوون - قاعة الدهيشة -

قاعة البيسرية ... ١٣ - ٢٨

القلعة في عهد السلاطين الجراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧) ... ٤٩

السلطان برقوق - السلطان فرج - السلطان شيخ المؤيد -

السلطان قايتباي - السلطان جنبلات - السلطان الغوري ... ٤٩ - ٥٦

القلعة في أيام القلقشندي والمفریزی في القرن الخامس عشر ... ٥٧ - ٦٤

القلعة في أيام العثمانيين (١٥١٧ - ١٧٩٨) ... ٦٥

- مسجد السارية — مسجد احمد كتخدة — الوالى اسماعيل باشا —
 رضوان كتخده الجلفى — الوالى محمد يحيى باشا — الحاميات
 العثمانية والأوجاقات السبعة
 القلعة فى أيام الفرنسيين (١٦٩٨ — ١٨٠١) ٧٧
 القلعة فى أيام محمد على الكبير وخلفاؤه (١٨٠٥ — ١٩٣٦) ... ٨١
 دار الضرب — قصر الجوهرة — دار المحفوظات —
 قصر الحرم — دار الصناعة — جامع محمد على — وصف
 الجامع — عمارة اسوار القلعة وتجديد ابوابها وأبوابها —
 الخديو اسماعيل ٨١ — ٩٣
 القلعة فى عهد الفاروق المعظم ٩٤
 تجديد جامع محمد على — رفع علم مصر على القلعة — المتحف
 الحربى — عهد التجديد الشامل ٩٤ — ١٠٢
 الخاتمة (تحقيقات معمارية) ١٠٣
 ملاحق الكتاب ١٠٣
 ١ — النصوص المنقوشة على جدر وأبواب القلعة ... ١٠٨
 ٢ — تحصين القاهرة واسوارها ... ١١٧
 ٣ — سور صلاح الدين ومجارى المياه ... ١٢٨
 ٤ — أبو سعيد قراقوش الأسدى ... ١٣٦
 ٥ — ولاية القلعة ... ١٤٦
 ٦ — مراجع الكتاب ... ١٥٣
 الخرائط والصور ... ١٥٧
 (٧١٥١ — ٨٦٧١) ... ٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

منذ كتب الابلامة المقريزى ، أؤرخ المسمى ، كتابه المعروف "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" وزميله الإمام القلقشندى مؤلفه المشهور "صبح الأعشى" لم يتناول سواهما بالبحث تاريخ قلعة الجبل (القاهرة) . حتى وفد على مصر المستشرق كازانوف . فذخر رسالته الكبيرة عن تلك القلعة الخالدة ، ووفى ببحنه كاملا من الناحية التاريخية .

وفى الثلث الأول من القرن العشرين ، حل بهذه البلاد الكاتبين " كريزويل " أحمد ضباط الجيش البريطانى ، فأنسكب بشغف على دراسة الآثار الاسلامية فى مصر وغيرها من بلاد المشرق الوسيط ، وكانت قلعة القاهرة (الجبل) احدى دراساته التى شملها بعناية بالغة ، تلبية لنشجيع ورعاية حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول .

وقد عكف الجندى والأثرى " كريزويل " عدة سنوات يقوم ، بإبحاثه الأثرية فى القلعة ، حتى وفق بعد سنوات الى تدوين ملاحظاته الممتازة ، ونشرها له المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، مزودة بالرسوم والصور التى توخى فيها العناية والدقة . فتأتى عمله جديرا بما تستحقه قلعة القاهرة من مكانة سامية فى عالم الآثار الاسلامية .

وفى عام ١٩٤٧ ، عندما أمر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول بنقل المتحف الحربى الى قصر الحرم بالقلعة ، استحقت تلك الرعاية الملكية الضافية واللفتة الكريمة الى تصنيف كتاب حديث عن قلعة القاهرة ، مهد

(و)

التاريخ المصرى فى خلال سبعمائة عام ، أتوجه به اليوم الى مواطنى
الأعزاء ولعلى أكون قد حظيت بالتوفيق فى سد ثغرة فى تاريخ أعظم أثر
أسلامى تفخر به البلاد .

ولكى لاتجئ مادة الكتاب من النوع العالمى الجاف ، رأيت أن أضفى
على القامة طرفا من ذكرياتها وأحداثها التاريخية وما أكثرها منذ شيدها
الوزير الفذ قره قوش على عهد منشئها السلطان العظيم صلاح الدين الى أن
اعاد اليها مجددا السالف حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول
وإبنى لأشهر بالفخر العظيم لاتنهائى من كتابة هذا المؤلف ، لا لما بذلته
فيه من جهد أو ما نانيت من مشقة فحسب ، وإنما لأنه موضوع جدير
بالبحث ، وأثره خالد على الزمن .

وأرى نفسى مدينا حتما إلى كافة الأئمة والأعلام المصريين وغير
المصريين ، ممن اعتمدت عليهم على مؤلفاتهم الخالدة ، وحسى أن أزال
رضاءهم ورضاء القراء .

هدانا الله سواء السبيل ، فى ظل راعى العلوم والفنون والآثار ، مليكنا
العالم العظيم فاروق الأول حفظه الله .

القائممقام

يناير سنة ١٩٥٠

عبد الرحمن زكى

مدير المتحف الحربى

قلعة القاهرة

العصر الأيوبي
(١١٧١ - ١٢٥٠ م)

موضع قلعة الجبل

تنهض قلعة القاهرة على أحد المرتفعات التي تتصل بجبل المقطم^(١) في موضع كانت تشغله قبة تدعى بقبة الهواء - قال عنها أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر .

”أعلم أن أول ما عرف في خبر موضع قلعة الجبل أنه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء بناها حاتم ابن هرثمة والى مصر في سنة (٥١٩٥ - ٨١١ م) ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء كان كثيرا ما يقيم فيها فإنها تشرف على قصره واعتنى بها الأمير أبو الجيوش نحماس بن طولون ... ولما زالت دولة بني طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبني فيها عدة مساجد“^(٢)

(١) أطلق على جبل المقطم طائفة من الأسماء . فكان الجزء الواقع منه شمالي القاهرة يتسمى بالجبل الأحمر . والمرتفع للذي يبرز قليلا نحو الغرب يتسمى بالجبل ، وعليه شيدت القلعة وعرفت باسم قلعة الجبل . وكان هناك شرف يطل على هذا المرتفع الذي قامت فوقه القلعة ويعرف هذا الشرف باسم ”الرصد“ مذ شيد الوزير الأفضل مرصدا فوقه . وكان أبوه قد ابتنى عليه مسجدا عرف باسم جامع أمير الجيوش أو جامع الجيوش .

وذكر المقرئ أن "هذه القلعة شيدت على قطعة من الجبل تتصل
بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة
في الجهة البحرية منها ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الجيش
في الجهة القباية الغربية والنيل الأعظم في غربها وجبل المقطم من وراءها
في الجهة الشرقية وكان موضعها أولاً يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته
ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد . إلى أن
أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك
بديار مصر على يد بهاء الدين قراقوش الأسدي في (٥٧٢ هـ - ١١٧٦)
وصارت من بعده دار الملك بديار مصر ^(١) إلى أيام المغفور له الخديو
إسماعيل ."

أسباب بناء القلعة

ولم تك فكرة بنائها إلا وليدة لتفحص بضعة من أسباب شتى اختمرت
في رأس صلاح الدين . فقد ارتأى بثاقب بصره - أثر أزالته قوائم الدولة
الفاطمية بمصر - أن هناك حيواناً تحرم حوله وتحنن الفرص للانقضاض
عليه . فهنا شبيعة الخلفاء الفاطميين المنبثين في جوانح الوادي ، وهناك الملك
العاقل نور الدين محمود بن زنكي ، سلطان الشام .

فكان ينبغي أن يهيء معقلاً يدرأ عنه العواصف التي قد تهب ، ويحميه
من النوازع التي قد تنفجر . وبخاصة لأن قصرى الفاطميين بمصر كان
قد قسمهما بين أمرائه للاقامة فيها .

وقيل إن السبب الذي حدا به إلى اختيار مكان قلعة الجبل "أنه علق
اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة
فلم يتغير إلا بعد يومين وليلتين فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك .

وقد أقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فشرع في بنائها . كما بنى سور القاهرة الذي زاده في سنة (٥٧٢هـ - ١١٧٦م) . وقد اقتضاه ذلك هدم ما هناك من المساجد وإزالة القبور وتدمير الأهرامات الصغيرة التي كانت بالحيزة يستخدم حجارها في عملية البناء .

وكانت أمنيته أن يجعل السور يحيط بالقاهرة ومصر والناحية . بيد أنه لم تمتد حياته فتواري قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة ، بل دون أن يحظى بسكانها .

وهذا توقف العمل . إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي عهده . فاتم بناء القلعة . وأنشأ بها الدور السلطانية وذلك في عام (٦٠٤هـ - ١٢٠٧م) وما برج يقطنها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . فاستمرت من بعده دار مملكة مصر^(١) .

صفة القلعة

وقامة الجبل بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنت حتى تنتهي إلى القصر الأبقى ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع الأبراج .

ولعل المقرئ يرى يقصد من عبارة الأخيرة أن في قلعة ظاهرة غير عادية في أسوار القلاع . فبدلاً من أن يكون حولها سور تام بأبراجه وبدناته ترى أن سورها تعرضه قصور فتقضى على وحدته .

بدأ صلاح الدين في تشييدها في عام (٥٧٢هـ - ١١٧٦م) ولم تم وتتمخذ مقراً إلا في عهد ابن أخيه الملك الكامل (٦٠٤هـ - ١٢٠٧م) . فهو الذي شيد فيها أول ما بنى بها من قصور ، وهو الذي أقام أبراجها الرئيسية ، ونقل إليها مقر الحكم .

(١) المخطط المقرئية ج ٢ ص ٢٠٣

ومما يذكر أن صلاح الدين ترك كتابة تاريخية على باب المدرج في غربي القلعة مؤرخة من سنة ٥٧٩ هجرية . ويشير هذا التاريخ إلى نهاية أعمال صلاح الدين في القلعة . ولكن مما هو قمين بالتنويه أن هذه الأعمال لم تكن خاتمة عمارتها . فقد أضيفت إليها أجزاء كثيرة بعد ذلك التاريخ كما سنرى .

ويتبين من تخطيط القلعة أنها تتألف من مربعين من الأرض مستقلين الشمالى منها يشبه مستطيلاً ذا أبراج بارزة وتفصله عن المربع الجنوبي حائط سميك وأبراج ضخمة . ويخرج المربع الجنوبي من الشمال مكوناً معه زاوية قائمة . وحدود هذا المربع ليست منتظمة ويبدو أنه لم يك في البداية جدران محصنة .

ثم هناك قصر السلطان وملحقاته وهى الأيوان والاسطبلات . وكان الأيوان يطل على الجهة الشمالية ويفصله عن الحصن المربع الشمالى ميدان كبير كان يقف فيه الضباط والجنود فى انتظار وبدء الاستقبال . أما الاسطبلات فكانت فى أسفل القصر إلى الجنوب الغربى .

تحصين القاهرة

وإذا كان المقصود من بناء القلعة فى بداية الأمر هو تهئية معقل لصلاح الدين خشية الفتن والاضطرابات التى يشعلها أنصار الفاطميين والسلطان نور الدين . فقد كان المرتضى من وراءها أصلاً هو تحصين القاهرة فى وجه الغزاة والمعتدين . فمثل صلاح الدين — وهو الحارب الفذ والقائد الممتاز — طالع بعينه الیقظة مدى حاجة القاهرة ومصر وما يقفها . بل واستجته لتنفيذ هذه الرغبة الحياشة ما أبصره بمدن الشام الكبيرة . حيث شيدت لكل مدينة قلعة وسور .

فصمم الجندى الكبير على تشييد قلعة على المقطم تتصل بالسور . تكون بمثابة مركز هام لحشد الجنود وتخزين العتاد .

وقد تردد أن القلعة كانت محصنة ضد القاهرة أكثر منها ضد الأعداء من الجهات الأخرى . ولكن الواقع أن هذا القول لم يك صحيحاً إلا بعد إنشائها بزمان طويل . أما في البداية فإنها لم تك حصينة تماماً إلا من النواحي الخارجية ، أما من ناحية القاهرة فتد قامت عمائر عديدة جعلت اتصال المدينة بالقلعة ميسوراً للغاية .

وحين نراجع خطة تحصين القاهرة ، التي وضعت في عهد صلاح الدين -- يلوح لنا أن قلعة الجبل جزء هام من أسوار المدينة وأبوابها . ويتبدى للناظر طول أسوار القلعة البالغة حوالى ١٧٠٠ متر .

وهي في لأصل على شكل مستطيل غير منظم . والناحية الشمالية تظهر في بروز واضح وينصلها عن جبل المقطم خندق عميق . والناحية الغربية تتبعه نحو القاهرة . وقبالة الزاوية الجنوبية الغربية المرتفع المسمى الصخرة . وفي الناحية الجنوبية باب المدرج ويصعد إليه بسلاسل مخفورة في الصخر . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية باب القرافة .

وبهذا نكون قد أتينا على شكل القلعة في عهد الأيوبيين الأوائل .

ونستطيع في هذا السياق أن نقول — استناداً إلى شتى المصادر التاريخية الوثيقة — أن الجزء الأكبر من القلعة قد تم في سنة (٥٧٩هـ — ١١٨٣م) . أما البئر فالمحتمل أنها تمت في عام (٥٨٣ — ١١٨٧م) وهو العام الذي أسر في غرضونه صلاح الدين كثيراً من الفرنجة استغلوا في حفرها وبنائها . ويؤيدنا في ذلك ما رواه أبو المحاسن نقلا عن ابن عبد الظاهر (وأمانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أسارى الفرنج وكانوا ألوفاً) .

وكان حول القسم الشرقى من القلعة خندق ولا يزال أثره ظاهراً . فإن الصخر مخفور في هذا القسم إلى عمق عظيم بحيث يضاعف ارتفاع الحائط .

وقد فصل صلاح الدين بين جبل المقطم وبين جزئه الواقعة عليه القلعة بهوة كبيرة منعت أى عدو يسيطر على جبل المقطم من الاستفادة على إشرافه على القلعة .

ولؤلؤ القلعة بابان أحدهما الباب الأعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القاعة ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب ، والباب الثانى باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة فى جانبها بيوت وبجانبها القبل سوق للأكل ويتوصل من هذه الساحة إلى دركاه كان يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفى وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه فى دهليز فسيح يؤدى إلى الجامع الذى تقام به الجمعة ويمشى من دهليز باب القلعة فى مداخل أبواب رحبة فسيحة فى صدرها الأيوان الكبير المعد لجلوس السلطان فى يوم المواكب وإقامة دار العدل . وبجانب هذه الرحبة ديار جميلة ويمر منها إلى باب القصر الأبلق . ومن بدء باب القصر رحبة دون الأولى يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم الخدمة الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر^(١) .

ولكن المؤرخ القلقشندى صاحب صبحى الأعشى ، وقد فرغ من تأليف كتابه فى عام ٨١٤هـ ، يختلف مع المقرئى فى عدد الأبواب . فقد أبان أنه كان للقلعة ثلاثة أبواب أحدها من جهة القرافة وجبل المقطم وهو أقلاهما استعمالا . والثانى باب السر ويختص بالدخول والخروج منه أكابر الأمراء وخواص الدولة . كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، وهو يقابل الأيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يفتح إلا لدى وصول من يستحق الدخول أو الخروج منه ، فيفتح له ثم يغلق والثالث وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس يرقى إليه فى درجات متناسبة حتى يكون مدخله فى أول الجانب الشرقى من القلعة ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة تنتهى منها إلى دركاه يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبلى هذه الدركاه (دار النيابة) وهى التى يجلس بها النائب المكافل للحكم ، وقاعة الصاحب وهى التى يجلس بها الوزير وكتاب الدولة (ديوان الإنشاء) وهو الذى يجلس فيه كاتب السر ، وكذلك ديوان الجيش وسائر الدواوين السلطانية .

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ويتصدر هذه الدركاه باب يقال له باب القلعة يدخل منه إلى دهليز فسيحة على يسرة الداخل منها باب يفضى إلى جامع الخطبة (قلاون) .

قصبة البئر

هذه البئر من العجائب التي استنبطها بهاء الدين قراقوش ، وزير صلاح الدين وقائد جيشه ، تحدث عنها ابن عبد الظاهر فقال :
 " هذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء وقيل أن أرضها مسامته أرض بركة النيل وماؤها عذب . قيل إن هذه البئر لما نفرت جاء مأوها حلو فأراد قراقوش أو نوابه الزيادة في مأوها فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها . وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتابه عجائب البنيان أنه ينزل إلى هذه البئر بنحو ثلثمائة درجة ويقال إن هذه البئر كانت متصلة بالنيل بوساطة سرداب تنفذ منه مياه النيل إلى القلعة وأنه حدث في عصر الولاة العثمانيين أن فريقا من الثوار نفذوا إلى داخل القلعة عن طريق هذا السرداب .

فترة انتقال

وعقب وفاة صلاح الدين في سنة (٥٨٩ هـ -- ١١٩٣) كانت مصر في تقسيم امبراطور يته من نصيب ابنه الملك العزيز الذي توفي في ٥٩٥ هـ تاركاً ابناً صغيراً جعلت الوصاية عليه لبهاء الدين قراقوش . بيد أن الملك الأفضل أخا الملك العزيز قبض على منصب الوصاية ولكن الملك العادل طرده منه وجعل مصر طعمة لابنه الملك الكامل وحكم الكامل مصر من سنة ٥٩٦ هـ إلى سنة ٦١٥ هـ باسم أبيه الملك العادل ثم من سنة ٦١٥ هـ إلى ٦٣٥ هـ باسمه الشخصي .

١ — باب القلعة الاصل كان موجوداً حتى أيام السلطان بيبرس . أما الباب الحالي فيرجع إلى عهد المنقور له محمد علي باشا .

القلعة في عهد السلطان الكامل

(٦٠٤ - ٦٣٥ هـ = ١٢٠٧ - ١٢٣٨ م)

قال ابن عبد الظاهر^(١) "والمملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها (القلعة) وعمارة أبراجها ، البرج الأحمر وغيره فبكت في سنة ٦٠٤ هـ ، وتحول إليها من دار الوزارة " .

وقد بنى الكامل في القلعة إيوانا وبابا للقصور السلطانية سماه باب السرو بابا يصل لحصن القلعة أو الجزء الشمالى منها بالجزء الجنوبى وهو المدينة السلطانية ويسمى هذا الباب باب القلعة - وبنى كذلك الاصطبلات السلطانية وبعض الأبراج وأبراج الحمام وخزانة الكتب ولعله شيد كذلك مسجدا ومقرا للوزير يسمى قاعة الصاحب . وفى القرن الخامس عشر (عصر الممريزى) لم يكن باقيا من هذه المنشآت إلا الشئ القليل .

ومع أن السلطان الكامل هو الذى نقل لأول مرة مقر الحكم والإدارة الى القلعة فإن ميادة العنصر العسكرى فى البلاد لم تتم فى عهده وإنما فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى عظم نفوذ المماليك فى عهده وشيد لهم قلعة الروضة فسموا المماليك البحريةية ولكنهم رجعوا الى قلعة الجبل عند ما استقرت فى أيديهم مقاليد الحكم . ولم تلبث العمائر أن قامت على أنقاض المقابر التى كانت تفصل هذه القلعة عن القاهرة حتى اتصلتا .

ومن منشآت السلطان الكامل فى القلعة - الاصطبل السلطانى الذى كان ماحقا بالقصر ولم يذكر أحد المؤرخين المسلمين تاريخ إنشائه ونراهم

١ — هو القاضى محيى الدين عبد الله عبد الظاهر ولد بالقاهرة وتوفى بها (١٢٢٣ - ١٢٩٢) اشتغل بكتابة التاريخ إلى جانب أعمال ديوان الرسائل للملك الظاهر - كتابه الأشهر الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لم يصل إلينا وقد اقتبس منه الممريزى فى مواضع كثيرة .

متفقين على ذكره بن منشآت عهد السلطان بيبرس . ونستغرب أن يفوت عليهم ذكره وعلى الأخص إذا لم ننس أن سلاطين آل أيوب كانوا من رجال الجهاد والحروب ولا يغيب عن نظائرهم أمر الخيول والعناية بها . ومع أن المقرئ لم يفقه أن يذكر أن الملك الكامل تحول من دار الوزارة إلى القلعة ونقل سوق الخيل والجمال والحمير إلى الرملة تحت القلعة .

ومن أعمال الكامل أيضا — الميدان السلطاني تحت القلعة . ومن منشأته قاعة صاحب — أى قاعة الوزير — وكان أول من شغلها صفي الدين بن شكر وزير الكامل .

وقد كان موجودا في أيام السلطان بيبرس جامع تلقى فيه الخطبة ، ولا يبعد أن يكون الكامل هو المشيد له . وشيد مكان هذا الجامع جامع محمد بن قلاوون المعروف .

أبراج الحمام

ومنشئ أبراج الحمام — الملك الكامل — ولقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتابه "تمايم الحمام" أن أبراج الحمام قد بلغت عدتها في عام ٦٨٧ — ألف وتسعمائة طائر . وكان يستخدم الحمام في نقل الرسائل . ومما يذكر في هذا السياق أنه كانت هناك مراكز حمام في سائر نواحي المملكة في مصر والشام فيما بين أسوان والفرات .

خزانة الكتب

وهذا عمل آخر يعزى إلى الملك الكامل — خزانة الكتب — التي دمرها حريق عام (٦٩١ هـ - ١٢٩٢ م) وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل . ثم آلت إلى ابنه الأشرف أحمد لما أمر الكامل بوضع اليد على داره ونقل مكتبته إلى القلعة . وقد كان ذلك في يوم الأحد

الموافق لليوم الخامس من جمادى أول عام ٦٢٦ هـ . ثم نقلت المجلدات النفيسة في اليوم السادس والعشرين — وكانت تتألف من ثمانية وستين ألف مجلد . وبعد أيام حملت الخزانة الخشبية في تسعة وأربعين حملاً . وقيل أنه كان من جملة الكتب المستولى عليها — كتاب الاتابك والحضور لأبي العلاء المعرى في ستين مجلداً — وقد جمعها القاضي الفاضل من مكتبات الفاطميين .

ومن ثم يتسنى لنا أن نلخص أعمال الملك الكامل في قلعة الجبل كما يأتي :

١ — الأيوان .

٢ — باب السر المؤدى إلى القصور السلطانية .

٣ — باب يصل بين قلعة الجبل (المدينة العسكرية) والقلعة (المدينة السلطانية) واسمها باب القلعة .

٤ — الاسطبلات السلطانية .

٥ — الأبراج .

٦ — أبراج الحمام .

٧ — خزانة الكتب .

٨ — قاعة الصاحب (الوزير) .

٩ — الجامع .

ونلاحظ أن عمدتنا في تاريخ القاهرة — المقرئى — لم يدون آثار الكامل في الخطط نحات منها . ولم يرجع إلى مصنفات السابقين من المؤرخين وينقلها عنهم . فالمقرئى كما نعلم أجاد وصف القاهرة التى عاش فيها وسنرى في الفصول التالية كيف انتفعنا بالخطط المقرئية .

القاعة الصالحية

عقب وفاة الملك الكامل (١٢٣٨ م) إلى انتهاء حكم الإيوبيين في مصر (١٢٥٠ م) لم يشيّد أحد من سلاطين هذه الأسرة في القلعة ما يستاهل التنويه . ونكتفي بذكر القاعة الصالحية التي أمر بإنشائها الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ — ١٢٤٩ م) وظلت سكن الملوك إلى أن احترقت في ٦ ذى الحجة عام (٦٨٤ هـ) .

وإذا نحن اعتبرنا الملك المعز نجم الدين أيبك — من أسرة الإيويين لأنه كان الزوج الثاني للملكة شجرة الدر أوجدناه بعد أن استقر بالقلعة قد أهمل إيوان الكامل واتخذ المدرسة الصالحية مقرا للحكم والنظر في الشكاوى^(١) وقد ننسب إليه قاعة الأعمدة .

موجز أعمال العصر الأيوبي في القلعة

يعتبر كتاب الأستاذ كريزويل "التاريخ المعماري للقلعة" الذي نشره معهد الآثار الفرنسية بالقاهرة أظهر المراجع العمارة وأوثقها في تاريخ عمارة القلعة ونقل عنه ملخصا موجزا لأسوار القلعة وأبراجها وأبوابها :

(أولا) يعزى إلى صلاح الدين الأيوبي بناء حائط السور بأبراجه النصف الدائرية . ويبدأ هذا السور من الجانب الشرق لبرج المقطم ويمتد نحو الجنوب والشرق والشمال حتى ينعطف ويقف لدى المكان الذي يشغله الآن المتحف الحربى . وينسب إليه أيضا البابين الخلفيان والجزء الداخلى من باب القرافه وباب المدرج وكذلك حائط السور الذى يمتد جنوبيه بما فى ذلك الجزء الخلفى من البرج النصف الدائرى الكائن بين الباب الأخير والباب المتوسط .

(١) راجع كتاب النجوم والساووك لابن تفرى بردى .

وبعبارة أخرى فإن صلاح الدين بنى هذا السور كاملا وقويا على قدر ما سمحت له الظروف المحيطة به . إذ أنه استدعى الفلسطينيين في الحادى عشر من شهر مايو سنة ١١٨٢ فى ظروف عصيبة خلال الحروب الصليبية . فترك القاهرة وسورها وخاض غمار حروب طاحنة واشترك فى وقائع متوالية خرج منها منصورا إذ هزم الصليبيين وانتزع منهم بيت المقدس فى شعبان سنة ٨٥٣ هـ — أكتوبر ١١٨٧ م .

ولما خلفه أخوه الملك العادل كانت الأمور قد استقرت قليلا ووقفت الحروب مؤقتا فانهز العادل هذه الفرصة واستطاع بما لديه من الثروة وماله من النفوذ وبما تحت تصرفه من موارد الملكات الأيوبية أن يعيد تحصين المواقع الحربية الهامة فى دولته الوسيعة .

وما تزال قلاع حلب ودمشق وبصرى والقاهرة وأطلال حصون جبل طابور شاهدة على جهوده الكبيرة ونشاطه فى هذا السبيل .

(ثانيا) وينسب الى الملك العادل الأبراج الثلاثة الكبيرة الكائنة بالجانب القبلى وهى برج صفطه وبرج قرقيلان وبرج العلو — والزيادة التى أضيفت لباب القرافة والجزء الخارجى ببرج الرملة وبرج الحداد والجزء الداخلى ببرج الصحراء والبرج الكبير الذى لم يتبق منه سوى قاعدته . والبرجان الكبيران المربعان فى الركن الشمالى الغربى من السور . وقد تمت أعمال العادل سنة (٦٠٤ هـ — ١٢٠٦/١٢٠٧ م) .

وقد ذكر عماد الدين كاتب السر الذى كان موضع ثقة صلاح الدين والذى كانت جميع الوثائق فى متناول يده أن "محيط القلعة كان ٣٢١٠ أزرة هاشمية (١) " .

القلعة في عهد السلاطين البحرين

(١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

الظاهر بيبرس

نصل الى تاريخ القلعة في ظل السلاطين المعروفين بالممالك البحرية ، فلا نجد للثلاثة السلاطين الأول منهم أعمالا تستحق الذكر — لأنهم لم يكونوا من طراز رابعهم ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، إلا اذا استثنينا قطز ، الجندي المجاهد ، هازم المغول في معركة عين جالوت والذي قتله غيلة بيبرس ليظفر بملك مصر .

ولا ندري كيف اتسع وقت بيبرس ليحكم ملكه الواسع ، ويدير شئون دولته ، ويقود الجيوش الظافرة ضد المغول والصليبيين والروم في إرجاء آسيا الصغرى والشام وأعلى الفرات والنوبة ...

وان دل هذا على شيء فهو على أنه أحد أفراد ذلك الطراز النادر من سلاطين مصر ، بل ملوك العالم أجمع ...

فلنصنع الى أقوال أبي المحاسن في مؤلفه "النجوم الزاهرة" ملخصا أعمال بيبرس في القلعة (١) :

"عمر بقلعة الجبل دار الذهب وبرجة الجبارج (٢) قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عمودا من الرخام الملون وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على

(١) أبو المحاسن (النجوم الزاهرة) ج ٧ ص ١٩٠

(٢) الجبارج — الجرح بالضم من طير الماء جمعه جبارج وجباريج .

هيئتهم — وعمر بالقلعة أيضا طبقتين مطابقتين على رحبة الجامع ^(١) —
وإنشأ برج الزاوية ^(٢) المجاورة لباب القلعة ^(٣) وأخرج منه رواشن —
وبنى عليه قبة وزخرف سقفها — وأنشأ جواره طباقا للمالكه أيضا .
وأنشأ تجاه برجي باب القلعة دارا كبيرة لولده الملك السعيد . وكان
في موضعها حفير فعقد عليه سنة عشر عقدا . لأنه كان يكره سكنى الأمير
بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية .

ومثل هذه المنشآت ، سنأتى على وصف كل منها على حدة ، كما تحدث
عنها ابن عبد الظاهر الذى نقل عنه — فيما بعد — المقرئ بكثير من
الحذر والعناية والدقة — وكما أعاد النظر فيها المؤرخ محمد رمزى بك .

فما هى دار الذهب هذه ؟ وهل لها علاقة بالقلعة الظاهرية والدار
الجديدة اللتين ورد ذكرهما فى كتاب ابن عبد الظاهر سكرية وبهرس .

يقول هـ — ذا المؤرخ أنه فى عام ٦٦٤ هـ نجزت عمارة القلعة الظاهرية
المجاورة لباب سر قلعة الجبل المحروسة ، المتولى عمارتها الأمير عز الدين
أيبك الفخرى — وهى قاعة عظيمة ، قد افتن فى عمارتها وزخرفها ،
حتى كادت تبلغ الغاية أو النهاية ولما نجزت جلس بها السلطان

(١) الجامع الذى كان موجودا بالقلعة فى ذلك العهد وقد هدمه الملك الباصر محمد بن قلاوون
وأدخله فى جامع الذى أنشأه عام ٧١٨ هـ — وهذا الجامع لا يزال موجودا

(٢) هذا البرج لا يزال موجودا فى الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحرى للقلعة
ولما جدد على باشا الكبير سورها المالى أصبح البرج فى داخله ويعطوه الآن الجناح الغربى
للمتحف الحربى .

(٣) المتصوّر هنا باب المدرج الذى لا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق
الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة من جراء وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على
الكبير فى سنة ١٢٤٢ بجوار الباب المدرج .

ومد سماطا ، وخلع على عز الدين الفخرى مشيدها . وللصاحب محي الدين
(ابن عبد الظاهر) قصيدة في هذه المناسبة ^(١) .

وذكر المقرئ عن الدار الجديدة — أن الملك الظاهر بيبرس عمرها
في عام (٦٦٤ هـ — ١٢٦٦ م) عند باب سر القلعة وعمل بها في جمادى الأول
منها دعوة للأمرء عند فراغها ^(٢)

ويرى كازانوف أن دار الذهب والقاعة الظاهرية والدار الجديدة أسماء
على مسمى واحد . ونحن من ناحيتنا نتفق معه على هذه النتيجة . فضلا عن
أنه لم يرد بالفصيل شيء عن كل واحدة منها في كتب المؤرخين المعاصرين .
وهناك برج أمر بتشيدده الظاهر في الزاوية المجاورة لباب القلعة .

وهذه القلعة التي عرف بها الباب الذي تسمى بها . كانت موجودة وشيدها
الظاهر ثم هدمها الملك المنصور قلاوون ثم جدد باب القلعة على ما كان
عليه في أيام المقرئ .

وننتقل بعد ذلك الى دار العدل القديمة التي بناها بيبرس ومكانها اليوم
الى يمين الداخل الى القاعة ويشغلها ميدان سارية العلم الذي تفضل برفعه
مولانا الملك فاروق يوم الجمعة ١٢ رمضان ١٣٦٥ هـ (٩ أغسطس ١٩٤٦)
بمناسبة جلاء الانجليز عن القاعة .

وقد بنيت هذه الدار (دار العدل) في سنة ٦٦١ هـ ، وصار الساطان
يجاس بها لارض العساكر في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وقد
بدأ بالحضور في سنة (٦٦٢ هـ — ١٢٦٤ م) فوقف اليه ناصر الدين مجد
بن أبى نصر وشكا انه أخذ له بستان في أيام المعز أيبك وهو بايدى المقطعين
واخرج كتابا مثبتا واخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من

(١) Bibl, Nat, Paris. Ms. 802

(٢) الخطط المقرئية — ص ٣٤٥ >

حقوق الديوان . فامر برده عليه قسامة . واحضرت مرافعته في ورقة
مختومة رفعها خادما أسود في مولاه القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت
انه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته فانه لم يجعل للحنابلة مدرسا في المدرسة
التي أنشأها بخط بن النصرين ولم يول قاضيا حنبليا وذكر عنه أمور فادحة
فبعث السلطان الورقة الى الشيخ فحضر اليه وحاف أنه ما جرى منه شيء
وأن هذا الخادم طرده فاختلف على ما قال . فتمبل السلطان عذره وقال
ولو شئتني أنت في حل وأمر بضرب الخادم مائة عصا

وغاث الأسعار بمصر حتى بلغ أردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز
فنادى السلطان في الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع
ربيع الآخر منها وجلس بدار العدل هذه ونظر في أمر السحر وأبطل التسعير
وكتب مرسوما الى الأمراء ببيع خمسمائة أردب في كل يوم ما بين مائتين الى
ما دونهما . وأن يكون البيع للضعفاء والأرامل فقط دون من هدام . وأمر
الحجاب فزلوا تحت القلعة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة وبعث
الى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة أسماء الفقراء
وقال والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء لفرقتها ولما انتهى احضار الفقراء
أخذ منهم لنفسه الوفا وجعل باسم ابنه الملك السعيد الوفا وأمر ديوان
الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء بعدة رجاله .

وما برحت دار العدالة باقية الى أن امتحدث السلطان الملك المنصور
قلاون الايوان فهجرت . وظلت مهجورة الى أن هدمها قلاون في دام
٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م) وأقام على بقاياها الطبليخانة ^(١)

وقد لعبت القلعة على عهد بيبرس دورا مشهودا . وبعبارة أوضح كانت
مسرحا لأحداث كبرى في التاريخ المصري . تأتي في طليعتها إتيان الأمير
أبو القاسم أحمد الى مصر بعد أن استحوذ التتار على بغداد — فلما سمع
بسلطنة الملك الظاهر بيبرس — وفد عليه مع جماعة من بني مهارش —

فوصلوا الى القاهرة في الثامن من رجب عام ٦٥٩ هـ . وهنا ركب السلطان بيبرس للقائه وبصحبته الوزير بهاء الدين بن حنا ، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، والشهود والرؤساء والقراء والمؤذنون ، فضلا عن اليهود بالتوراة ، والنصارى بالانجيل ، في يوم الخميس — فدخل من باب النصر ، وشق القاهرة . وكان لدخوله يوم مشهود .

وحين حل يوم الاثنين الثالث عشر من رجب ، جالس السلطان الملك الظاهر والخليفة بالايوان وأعيان الدولة بأجمعهم ، وقرئ نسب الخليفة ، وبويع بالخلافة ، بعد أن انقضت ثلاث سنوات ونصف السنة والناس بلا خليفة .

وفي يوم الجمعة السابع عشر من رجب ، خرج الخليفة المستنصر بالله عليه ثياب سود الى الجامع بالقلعة ، وخطب خطبة بيغة ذكر فيها شرف بنى العباس ثم صلى على النبي (صلعم) .

وفي مستهل شعبان من العام المذكور ، تقدم الخليفة بتفصيل خلة سوداء ، وبحمل طوق ذهب وقيد ذهب . وبجأبة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس . ونصب خيمة ظاهر القلعة . فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والساطان والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة الى الخيمة ظاهر القاهرة بقبة النصر ^(١)

فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خامة السلطنة بيده وطوقه وقيده . وصعد نحر الدين ابراهيم بن لقمان رئيس الدكّاب منبرا نصب له ، فقرأ التقليد وهو من إنشائه وخطه . ثم ركب السلطان بالخامة والطوق والقيد ودخل من باب النهر وقد زينت القاهرة له . وحمل الصاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا والأمراء يمشون بين يديه . فكان يوما يقصر اللسان عن وصفه .

(١) كانت هذه القبة زاوية يسكنها فقراء العجم وهي خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر تجاه قبة الأمير بونس الدوادار الظاهري بأخر ميدان القيق من بحريه — جددتها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وقد اندثرت هذه القبة .

وقد أعد بيبرس للخليفة جيشاً ليستعيد به بغداد من قبضة التتار ... بيد أن الحملة قد باءت بالفشل. وحدث أن تولى الخلافة من بعده أحد أقاربه باسم الحاكم بأمر الله وخرج السلطان لاستقباله (٢٧ ربيع الأول عام ٦٦٠هـ) وهياً له البرج الكبير (المجاور لباب القرافة) بداخل القلعة لإقامته وسكنه. ثم تحول الخلفاء فيما بعد إلى قلعة الكباش حتى عام ٩٢١هـ لما تنازل آخر الخلفاء عن سلطتهم الروحية إلى السلطان سليم الأول العثماني.

باب الدرفيل

وقبل ختام الحديث عن القلعة ، في عهد بيبرس ، نذكر شيئاً عن باب سارية أو المدرج الذي أصبح على أيامه يتسمى باسم باب الدرفيل . وهو اسم لأحد قادة جيش بيبرس - وهو الأمير حسام الدين لاشين الأيدمرى وكان يشغل منصب الدوادار وقد وافته المنية في عام ٦٧٢هـ (١٢٧٣/٧٤م)

وهناك رأى آخر يقول بأن باب الدرفيل هو باب آخر لا يتصل بباب سارية أو المدرج ...

وفي الفترة القصيرة التي تربع فيها على العرش - السلطان بركة خان بيبرس - يصادفنا ذكر برج الرفرف وإن كان المقرئ يعزو بناءه إلى الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

السلطان قلاوون

(٦٧٩ هـ - ١٢٧٩ م)

كان أول مبنى شيده قلاوون في القلعة - القبة - أقامها في سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ونرى أن ننقل عن ابن عبد الظاهر ما جاء بذكرها في مخطوطه

”كان في غيبة (السلطان قلاوون) ^(١) رسم ببناء قبة في الرحبة الحمراء بالقلعة المحروسة بمباشرة الأمير علم الدين المنصوري بجاءت من عجائب الأبنية التي ما عمر مثلها ملك في مملكة من الممالك . ومن عارض في هذا القول فليقل فلان في المكان الثاني . فنسلم له ذلك . والذي بهذه القبة خاصة من العمود الكبار والصغار الملونة والمذهبة أربعة وتسعون عمودا خارجا من الرواقات والذي ألصق بها من الذهب ألفان وثلاث مائة دست ذهبيا مصرية . وأما من الرخام فما لا تحصى قيمته ولا تحصى . وفي جدران رواقاتها صفة قلاع مولانا السلطان قنعة قنعة وحصنا حصنا يبحارها وأنهارها وسهولها وجبالها وكتب على لوح رخام منها أن الشروع فيها كان في مستهل شعبان من هذه السنة .

ومما نظمه الشاعر فيها :

شيئت لملك كل قصر	يربى اعتلاء على البرابي
فصرح بلقيس في انقضاض	وصرح هامان في انقضاب
وقعمر غمدان في انقلاء	وشعب بوان في انقلاب
يا حسنها قبة تعالت	حتى تناهت إلى السحاب

ولما وصل مولانا السلطان جالس بهذه القبة فاستحل كلها . وحضر صاحب حماة وعمه والأمراء جميعهم بها .

(١) من رجب إلى شوال عام ٦٨٥ هـ

وقد أورد المقرئى فى الخطط أن قبة قلاوون هذه هئئت على أنقاض قبة بىرس — وقد هدمت الأولى فى يوم الأحد ١٠ رجب عام ٦٨٥ ، وانتهى العمل فى الثانية فى شوال من العام المذكور . ولستأ ندرى أين كان موضع هذه القبة بالضبط .

والى قلاوون يعزى بناء "دار النيابة" فى عام ٦٨٧ — ١٢٨٨ م . وقد قطنها الأمير حسام الدين طرنسغاي ومن بعده من نواب السلطنة . ومما يذكر أن النواب كانوا يجلسون بشباكها .

وقد أنشأ قلاوون أشناتا من الأبنية لسكن مماليكه بالقلعة ، كما هيا برجاً على مقربة من باب السر .

وقيل أن نخاف منشآت قلاوون ينبغي أن تشير الى الحريق الهائل الذى شب فى عام ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) ودمر قاعة الصالحية .

وفى أيام خلفه ابنه الخليل (٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م) اندلعت حريق أخرى أتى على وصفها ابن عبد الظاهر سكرتير بىرس وقلاوون و خليل فيما يلى :
"فى ليلة الجمعة سابع عشر صفر وقعت نار بالآثار الشريفة السلطانية قرب الخزان المعمورة وخزانة المكتب وغير ذلك فقوى فعالها واستطار طبها وارتفع وقدها . وعلت حتى كادت تذهب بالأبصار وحضر مولانا السلطان لذلك معاجلا وفتحت الأبواب وحضرت الممالك السلطانية من الأمراء كلهم وغيرهم واقترحوا تلك النيران بنفوسهم ونقلت المياه من دوائر الصهاريج وفتحت الأبواب . فقالت فقالت سعادة مولانا الالهية وبركانه الخليلية يا نار كوني بردا وسلاما فلوقتها صارت كذلك . ودفع الله من المخاوف العظيم ما هنالك .

وبرج الرفرف من تدمير الملك الخليل — يقول المقرئى عنه أنه قد جعله عالياً يشرف على الحيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصيها . وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها . وكان مجلسا يجلس فيه السلطان واستمر جلوس الملوك به حتى هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة (٧١٢ هـ — ١٣١٢ م) .

الناصر محمد بن قلاوون

السلطنة الأولى (٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م) .

السلطنة الثانية (٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م) .

السلطنة الثالثة (٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م) .

هو في الحق — بناء دولة المماليك البحرية في الامبراطورية المصرية . تنطق أعماله بقوة شخصيته في قيادة الجيوش ، وإدارة الحكومة ، وتنظيم الملك ، خلع عن العرش مرتين ثم عاد اليه مرة ثالثة فخكم من عام ٧٠٩ الى عام ٧٤٦ وجلس أبنائه العديدين على عرش مصر ، كل في دوره ، وكان قوامهم تسعة ، تابعوا على حكم وادى النيل من عام ٧٤١ هـ إلى عام ٧٦٢ هـ

ويعتبر الناصر مكملاً لأعمال صلاح الدين وبيبرس وقلاوون . ادخل العرب والفرع إلى جيوش الصليبيين والمغول . وبالرغم من اشغاله طوال حياته بالفتوح المستمرة كان معمرًا من الطراز الأول . خلد اسمه بما شيده من القناطر ، وحفره من القنوات ، وابتناه من القصور والملاجد . ولم ينافسه من ملوك المماليك منافس .

نجمه قد عمر خارج سور القاهرة الفاطمية نحسة أحياء مستحدثة ، فازدهرت عاصمة ملكه ، وامتدت مساحتها .

وفي عصره انتعش الفن الاسلامي ، وازدهرت العمائر ، وانتشر في مصر صنع الطرائف . بل ويلاحظ هواة الفنون الاسلامية أن غالبية معروضات المتاحف الفنية في أوربا وأميركا والشرق من مخلفات عصر الناصر محمد^١ وأمراء دولته وكبار رجالاته .

(١) الخطط — ج ٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٩ (طبعة النيل)

(١) S.L. Poole Art of the Saracens in Egypt. p. 189-192

ولا مصرية في أن العصر الذهبي الثاني للقلعة هو عصر السلطان الناصر .
أما أول تلك العصور فهو أيام بيبرس الكبير ، هازم الصليبيين والتتار .

أجل . هذا هو ثانيهما . وأما ثالثهما فهو — بغير نزاع — عهد مجد
على الكبير . كما أن مجدد كل العصور والامجاد ، نضر المصريين والشرقيين
فاروق الأول — حفظه الله .

ومنشآت الناصر مجد في القلعة ، تناولها المؤرخ المستشرق كازانوف
في " تاريخ القلعة " بالتقسيم إلى ثلاثة أقسام .

أولها — المنشآت التي مازالت باقية إلى اليوم .

ثانيها — المنشآت التي كانت باقية إلى أيام الحملة الفرنسية ووصفت
في ذيك العهد .

ثالثها — المنشآت التي تأتي وصفها في كتب المؤرخين شهاب الدين
والقلقشندي والمقریزی .

ومنشآت القسم الأول هي :

(١) الجامع :

بدأ العمل فيه عام ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) في موضع كان يشغله جامع آخر
فهدمه السلطان كما هدم المطبخ والحوائجخانة والفراشخانة . ثم تراءى له
توسيعه في عام ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) ولما انتهى العمل جلس فيه السلطان
واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر وجل القراء والخطباء وعرضوا بين
يديه وأنصت إلى أذانهم وخطاباتهم وقراءتهم . فرتب عشرين منهم . وجعل
عليه انفاقا تكفيه وتفيض .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، كانت أرضيته مفروشة
بالرخام ، وسقفه مبطن بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة

مستورة هي والرواقات بشبايك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه
رواقات من جهاته^(١) وكانت بالصحن مضاءه .

وفد عنى به وبزخارفه إذ كان بمثابة مسجد القصر الخاص ، وله بابان
أحدهما بالواجهة البحرية المواجهة لباب القلعة على يساره منارة ، والآخر
بالواجهة الغربية وعلى يمينه منارة أخرى .

وأكبر أروقة الجامع (ايوانانه) الرواق الشرقى إذ يتكون من أربعة
أروقة تتوسطها قبة كبيرة حمت على عشرة أعمدة ضخمة من الجرانيت
ولهذه القبة طراز خشبى به آيات قرآنية يعملوه مقرنص خشبى تعلوه قاعدة
أخرى بها شبايك جصية . وقد هدمت هذه القبة ثم جددتها السلطان
قايتباى سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٧ م) كما عمل للجامع مقبرا رخاميا ثم هدمت
هذه القبة أيضا وجددتها أخيرا إدارة حفظ الآثار العربية^(٢)

وهذا الجامع وإن كانت تسوده البساطة من الخارج فلا مقرنصات
ولا زخارف ولا كتابات إلا أنه من الداخل كان غنيا بشتى الصناعات
كما تدل على ذلك بقاياه — فقد كسيت الجدران إلى ارتفاع نحو خمسة
أمتار بوزرة رخامية دقيقة طعمت بالصدف . وكان محرابه مكسوبا بالرخام
المحفور به زخارف دقيقة .

ولهذا الجامع منارتان حجويتان : الأولى على يسار الباب البحرى ،
والثانية على يمين الباب الغربى .

وقد قرأ كازانوف على لوحة رخامية مستطيلة كانت فوق باب الجامع
البحرى السطرين الآتين :

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك
السعيد سيدنا وولانا السلطان الملك ال

١ — الخطة المقرئية ج ٣ ص ٣٤٤ — ٣٤٥ طبعة النيل

٢ — حسن عبد الوهاب ، مجلة المبرة ، الجزء ٧ و ٨ عام ١٩٤١ ص ٢٩٤ — ٢٩٥

كما قرأ على لوحة الباب الغربى :

”بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد قلاوون الصالحى فى شهور سنة ثمانية عشرة وسبع مائة من الهجرة النبوية .

كما قرأ طائفة من الآيات القرآنية على الطراز الداخلى تحت القبة . .
وعلى المئذنة كتابة تحتوى على آيات الكرمى .

(ب) البرج ^(١) :

على أحد أبراج القلعة ، وعلى ارتفاع كبير من الجدار ، تقرأ كتابة واضحة نصها كما يلى ،

بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازى فى سبيل الله الحاج الى بيت الله وقبر رسول الله ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور بدؤه فى جمادى الأولى .

والفراغ . . . ثلاث ^(٢)

ويرجع المؤرخ كازانوف أن يكون بناء هذا البرج قد تم حوالى ٧١٣ هـ (٣١٣ م) وخصوصا اذا كان هذا البرج هو الذى عناه لما قال أن محمدا ابن قلاوون هدم الرفرف الذى شهده أخوه خليل عام ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) لكي يحدد بناءه ، وعمل بجواره برجا على مقربة من الاصطبل نقل اليه المالك .

وهذا الترجيح يكون أقرب الى الصواب اذا علمنا أن أول شهر جمادى أول فى النص المذكور يوافق أول أيام عام ٧١٣ . وهذا أضفنا الى هذا

(١) راجع خارطة القاهرة المرسومة عام ١٧٩٨ (الحملة الفرنسية بالقرب من الرقم ٨٤

(٢) Corpus Inscript Arab. Ier fasc. p. 88

يلاحظ أن فان برشم قرأ كلمة ناصر . حصن

أنه فيما بين عامي ٧١٢ و ٧١٥ هـ تم لابن قلاون تشييد أكثر عمائر القلعة أو تجميدها كالرفوف والايوان والميدان ومجاري المياه وفي ذلك يقول المقرئ في كتاب السلوك لدى الحديث عن أعمال السلطان في هذا التاريخ "وأكثر من العمائر وولى اقسى أمير أخور شاد العمائر وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية وأفرد للعمائر ديوان بلغ مصروفه في كل يوم اثني عشر ألف درهم الى ثمانية آلاف ."

(ج) الكتابة المنقوشة على باب السارية

القسم الثاني من عمائر ابن قلاون

(١) الايوان

لاريب أن الايران كان أظهر عمائر محمد بن قلاون في القلعة — وقد شيّد محمد دلي باشا على أنقاضه جامعة الكبير^(١) . وعرف بایوان يوسف مدة طويلة ، ولذلك نسبته البعض الى صلاح الدين خطأ . وخير وصف لهذا الايوان ورد في الخطط كما يلي^(٢) .

"الايوان المعروف بدار العدل . أنشأه السلطان الملك المنصور قلاون الأتقي الصالح النجمي ثم بدده ابنه السلطان الملك الأشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك أمر بهدم هذا الايوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه الآن وزاد فيه وأنشأ به قبة جميلة وأقام به عمدا عظيمة نقلها اليه من بلاد

(١) اما الرحلة التي كانت قبالة الايوان فكانها الحوش الواقع تجاه الواجهة البحرية الشرقية لجامع محمد على

(٢) الخطط المقرينة ٠ ج ٢ ص ٢٩٦

الصعيد ورنحه ونصب في صدره سرير الملك وعمله من العاج والأبنوس ورفع سمك هذا الايوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة وجبل بالايوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الايوان مسبوكا من حديد بصناعة بدیعة تمنع الدخول اليه وله باب يخلق فاذا أراد أن يجلس فتحه حتى ينظر منه ومن تحريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الايوان وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس فاستمر الأمر على ذلك وكان أولا دون ما هو اليوم فوسع في قبة وزاد في ارتفاعه وجعل قدامه دركا كبيرة بجاء من أعظم المباني الملوكية . وأول ما جلس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد ما رسم النقيب الجيش أن يستدعي سائر الأجناد فلما تكامل حضورهم جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافيها مكان المقدم بقف بمضافيه و يستدعي من تقدمه على قدر منازلهم فيتقدم الجندي الى السلطان فيسأله ابن من ومملوك من ثم يعطيه مثالا واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعائة الى مستهل صفر منها وما برج بعد ذلك واظب على الجلوس به في يومي الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكتب السر وناظر الجيش وناظر الخصاص وكتب الدست وتمف الأجناد بين يده على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالايوان الى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتم ذلك أيضا الا أنه صار يجلس فيه اذا طلعت الشمس جلوسا يسيرا يقرأ عليه فيه بعض قصص . . وكان موضع جلوس السلطان في الايوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالاصطبل السلطاني للحكم بين الناس وصار الايوان في ايام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد شيخ أغاهوش من بقايا الرسوم الملوكية لا غير .

وفي مخطوطه ميونيخ رقم ٤٠٠ ص ٢٩٢ ، نقل كازانرفا في كتابه النفيس عن تاريخ القلعة أن مؤرخا مجهولا قال أنه في ٧ جمادى ثان

عام ٧٣٣ هـ شرعوا في هدم القبة بالايوان بالقلعة وعمروا القبة والايوان على ما هو عليه اليوم ، وفرغوا في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وجلس السلطان على الكرسي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر المذكور .

ومن الصعوبة بمكان ، أن نقف أثر تاريخ هذا الايوان ، كما جاء في كتب المؤرخين المسلمين أو الرحالة الغربيين . بيد أننا سنورد تنهما مما ذكره هؤلاء وهؤلاء ...

ذكر ابن أبياس في كتابه تاريخ مصر ، أنه في يوم السبت سادس عشر محرم عام ٩٢٨ هـ (١٥٢١ م) سقطت القبة العظيمة التي كانت على الايوان ، سقطت باكر النهار وهذه القبة من انشاء محمد بن قلاوون ، فلما سقطت قال الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب ، وهذه القبة لها نحو مائتين سنة من حين عمرت وكانت من خشب وفوقها رصاص ، وكانت مغلفة بقبشاني أخضر — ولم يعمر في مصر أكبر منها وكانت من نوادر الزمان “ .

وجاء ذكر الايوان في كتاب رحلة M. Monconys ^(١) الذي زار مصر وشاهد الايوان الكبير في فبراير عام ١٦٤٧ م (١٠٥٦ هـ) ووصف أيضا الرحالة ماييه ^(٢) وريتشارد بوكوك (١٧٤٩ م) وينبوهر الدنماركي (١٧٧٤) ، وأحيرا كتاب الموسوعة الفرنسية وصف مصر

(ب) القصر الأبلق :

نقرأ وصف هذا القصر في المخطط ^(٣) قبل أندثاره — وكان قائما في الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على يمين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة الى الساحة التي ها جامع محمد علي ، وكان يشغله الى أوائل

1 — Journal des voyages de M. Monconys. Lyon 1675 1er partie. p. 168

2 — Maillet, Description de l'Egypte 1735 p. 191

٣ — المخطط المقرية ج ٢ ص ٢٠٩

عام ١٩٤٦ السجن الحربى للجيش البريطانى ومساكن المساجين ويتبعه حديقة تطل على القاهرة هى اليوم ساحة العلم التى رفع العلم المصرى عليها الفاروق المظم يوم ٩ أغسطس ١٩٤٦

ولنعد الى الخطط لنقرأ ما كتبه المقريزى عن هذا القصر الذى قيل أنه انتهى بناؤه فى مدة عشرة أشهر وقد وصف فى البيتين الآتين :

قصر تحليه تحية وسلام خلقت عليه شبابها الأيام
قوت به عين المليك وغردت بالبشر فيه بلايل وحمام

كان يشرف هذا القصر على الاسطبل الذى أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون فى شعبان سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣) وانتهت عمارته فى السنة التالية وأنشأ بجواره جنيحة ولما كمل عمل فيه سماطا حضره الأمراء وأهل الدولة ثم أقيمت عليهم الخلع وحمل الى كل أمير من امراء المئين ومقدمى الألوف ألف دينار ولكل من مقدمى الخاقعة خمسمائة درهم ولكل من أمراء الطبائخاناه عشرة آلاف درهم فضة منها خمسمائة دينار فبلغت النفقة على هذا القصر خمسمائة الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ماعدا يومى الاثنين والخميس فانه يجلس للخدمة بدار العدل وكان يخرج الى هذا القصر من القصور الجوانية فيجاس تارة على تحت الملك المنصوب بصدر ايوان هذا القصر المطل على الاسطبل وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف هذا ما تقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان فانه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الأمراء الكبار الا من دعت الحاجة الى حضوره ولا يزال السلطان جالسا الى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل الى قصور الجوانية ثم الى دار حريمه ونسائه ثم يخرج فى أحرىات النهار من قصوره الجوانية للنظر فى مصالح مملكه ويعبر اليه الى قصوره الجوانية خاصته من أرباب الوظائف فى الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة اليه ويقال لها خدمة القصر وهذا القصر تجاه بابه رحبة

يسلك اليها من الرحبة التي تجاه الايوان فيجلس بالرحبة التي على باب
القصر خواصى الأمراء قسمل دخولهم الى خدمة القصر ويمشى من باب
القصر في دهايز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط الى قصر
عظيم البناء شاهق في الهواء بإيوانين أعظمها الشمالى يطل منه على
الاصطبلات السلطانية ويمتد النظر الى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها
الى نحو النيل وما يليه من بلاد البحيرة وقراها . وفي الإيوان الثانى القبلى
باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه الى الإيوان الكبير أيام الموكب
ويدخل من هذا القصر الى ثلاثة قصور جوانيه . وكان بهذا القصر
الابلق رسوم وعوائد تغير كثيرا منها وبقيت بقايا من شعار المملكة
ورسوم السلطنة (إلى أيام المقرئى) .

الأسمطة السلطانية^(١)

كانت العادة ان يمد بالقصر فى طرفى النهار من كل يوم أسمطه جليلة
لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل ما هم فبكرة يمد سباط أول لا يأكل منه
السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل
ثم ثالث بعده يسمى الطارى ومنه ما كول السلطان وأما فى آخر النهار فيمتد
سباطان الأول والثانى المسمى بالخاص ، وفى كل هذه الأسمطة يؤكل
ما عليها ويفرق نوالات ثم يسقى بعدها الأقسام المعمولة من السكر
والأنارية المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت فى كل
ليلة بالقرب من السلطان أطباق منها أنواع من المطبخات والبوارد
والفطر والقشطه والجبن المقلى والموز وأطباق فيها من الأقسام
والماء البارد برسم أرباب النوبة فى السهر حول السلطان ليتشغلوا
بالمأكل والمشروب عن النوم ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الزل

فاذا انتهت نوبه نهبت التي تليها ثم ذهبت هي فنامت الى الصباح . وبلغ مصروف السباط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم منها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامة . وكان يعمل في سباط الملك الظاهر برقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الأوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم اسباطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان من المحرم سنة ٨٢٦ هـ (١٤٢٣ م) سأل الملك الاشرف برسباي عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بكرة وعشيا فتيل له ستمائة رطل في الوجبتين فأمر أن يطبخ بين يديه لأنه بلغه أنه يؤخذ مما ذكر لشاد الشربخانة ونحوه مائة وعشرون رطلا فجعل راتب اللحم في كل يوم بزيادة أيام الخدمة ونقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرتال عن وجبتى الغذاء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا “

وقيل أنه لما انتهى العمل من هذا القصر الكبير أوم السلطان في ذلك اليوم وجميع القضاة الأربع وسائر الأمراء وقرأ الختمة ومد سباطا حافلا وملا الفسقية التي بالقصر سكر بماء الليدون ووقف رؤوس النوبة على الفسقية يفرقون السكر على الناس بالطاسات — وخلع السلطان في ذلك اليوم على المهندسين والبنائين والمرحمين والتجارين والدهازين . فجموع ذلك ألفين وخمسمائة خلعات — ووزع على النقباء خلع حرير ووفر على النعلة كل واحد عشرة دنانير ووفر على الفقراء في ذلك اليوم خمسين ألف دينار ثم أحضر في آخر الليل المغاني وأرباب الآلات وقدمت وقدة عظيمة بالقصر — تلك الليلة وأحرق حراقة نפט بالرميلة وكانت ليسلة لم يسمع مثلها .

وفي أيام العثمانيين — تحول القصر إلى مصنع للكسوة الشريفة كما ذكر البكرى وأيد هذا القنصل الفرنسى ما يه في كتابه وصف مصر .

القسم الثالث من عمائر محمد بن قلاون

(١) القصور الجوانية :

نقابل وصف هذه القصور في الخطط بعد ما ذكره المقرئ بنى عن القصر الأبلق وسنقل ما كتبه عنها :

يدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية منها واحدة مسامت لأرض هذا القصر واثنان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبايك حديد يشرف على مثل منظره القصر الكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعة من التل تديرها الأبقار من مقره إلى مزرع ثم إلى آخر حتى ينتهي الماء إلى القلعة ويدخل إلى القصور السلطانية وإلى دور الأمراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء في دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الأعمال لرفعة من الأرض إلى السماء قريبا من خمسمائة ذراع من مكان إلى مكان ويدخل من هذه القصور إلى دور الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالجمر الأسود والجمر الأصفر موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع الملونات وسقوفها كلها مذهبة قد موهت باللأزورد والور مخرق في جدرانها بطاقات من الزجاج القبرسى الماوان كقطع الجواهر المؤانة في العقود وجميع الأراضي قد فرشت بالرخام المنقول إليها من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله وتشرف الدور السلطانية على بساتين وأشجار وساحات للحيوانات البديعة والأبقار والأغنام والطيور والدواجن .

(ب) السبع قاعات .

كانت تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاون واسكنها سراريه ومات من ألف وماتى وصيفة مولدة سوى من مداهن من بقية الأجناس . وقد يكون موقعها اليوم قصر الجوهرة الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية بالقلعة

(ج) باب النحاس

كان هذا من أجل أبواب الدور السلطانية . عمره الناصر وزاد في سعة دهايزه — والظاهر أن هذا الباب كان في أبواب القصر المخصص لسكنى الملك وحرمة . وقد زال بزوال القصر الذى كان مركبا على أحد دهايزها بقلعة الجبل

(د) باب القلعة^(١)

يستفاد مما ورد في كتاب صبح الأعشى عند الكلام على القلعة (ج ٢ ص ٣٧٢) أن باب القلعة كان واقعا في أحد الأسوار الداخلية الواقعة في القسم الشمالى الشرقى في مباني قلعة الجبل . وكان السور الذى فيه هذا الباب يفصل بين الساحة التى كانت خلف باب القلعة العمومى وبين الدور السلطانية . وكانت هذه الساحة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . ويستفاد مما ذكره المقرئى فى خططه عند الكلام على باب القلعة (ص ٢١٢ ج ٢) أنه عرف بذلك لأنه كان هناك قلعة (برج مرتفع) بناها الملك الظاهر بيبرس ثم هدمها الملك المنصور قلاون فى سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) . وبني مكانها قبة ثم هدمها الملك الناصر محمد ابن قلاون . وجدد باب القلعة على ما هو عليه فى زمن المقرئى وعمل له بابا ثانيا .

وقد اندثر هذان البابان بسبب ازالة السور الذى كان فيه البابان المذكوران وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلعة الحالى ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ ان هذا الباب كان يسمى باب المدافع — وفى سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) جدد محمد على باشا الكبير باب القلعة الحالى وهذه البوابة واقعة بعد الوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحرى الشرقى لجامع الناصر محمد بن قلاون — وتوصل الى ثكنات الحرس الملكى والمتحف الحربى

(١) محمد رمزى بك — تعليقات كتاب النجوم الزاهرة — ج ٨ ص ٤٥ وج ٩ ص

(هـ) دار النيابة :

وننقل فيما ما جاء في كتاب الخطط المقرزية عن دار النيابة :

” كان بقلعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاون في سنة ٦٨٧هـ سكنها الأمير حسام الدين طرطاي ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشبا كها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة ٧٣٧هـ وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر ثم قبض عليه فولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آن سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٢) في شباك دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديد دها وتوارثها النواب بعده وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يوم الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة فيسيرون هناك من رأس الصورة الى باب القرافة ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادي على الخيل بينهم وربما نودي على كثير من آلاف الجند والحليم والجركاوات والأسلحة ثم يطأون الى الخدمة السلطانية بالايوان بالقلعة فاذا مثل النائب في حضرة السلطان وقف في ركن الايوان الى أن تنقضي الخدمة فيخرج الى دار النيابة والأمراء معه ويمد السماط بين يديه كما يمد سماط السلطان ويجلس جلوسا عاما للناس ويحضره أر باب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدم اليه الشكاة ويفصل أموره فكان السلطان يكسفي بالنائب ولا يتصدي لقراءة القصص عليه وسماع الشكوى تعويلا منه على قيام النائب بهذا الأمر واذا أقرئت القصص على النائب نظر فان كان مرسومه يكفي فيها أصدره عنه ومالا يكفي فيه الا مرسوم السلطان ان أمر بكتابته عن السلطان

وأصدره فيكتب ذلك وينبه فيه على أنه بإشارة النائب ويميز عن نواب
السلطان بالممالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الإسلامية
وما كان من الأمور التي لا بد له من من إحاطة علم السلطان بها فانه إما أن
يعلمه بذلك منه إليه وقت الاجتماع به أو يرسل إلى السلطان من يعلمه به
ويأخذ رأيه فيه وكان ديوان الاقطاع وهو الجيش في زمان النيابة ليس
لهم خدمة إلا عند النائب ولا اجتماع إلا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان
في أمر من الأمور فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار
ناظر الجيش يجتمع بالسلطان واستمر ذلك بعد إعادة النيابة وكان الوزير
وكاتب السر يراجعان النائب في بعض الأمور دون بعض ثم اضمحلت
نيابة السلطنة في أيام محمد بن قلاوون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت
بعده ولم تزل إلى أثناء أيام الظاهر برقوق وآخر من وليها على أكثر قوانينها
الأمير سودون الشيخى وبعده لم يل النيابة أحد في الأيام الظاهرية ثم
ان الناصر فرج بن برقوق أقام الأمير تراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار
النيابة في القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة
بعد تراز أحد وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الذي وكانت سائر نواب
الممالك الشامية وغيرها تكتبه في غالب ما تكتب فيه السلطان ويراجعونه
فيه كما يراجع السلطان وكان يستخدم الجند ويخرج الاقاعات من غير
مشاورة ويعين الأمرة لكن بمشورة السلطان وكان النائب هو المتصرف
المطلق التصرف في كل أمر فيراجع في الجيش والمال والخير والبريد وكل
ذى وظيفة لا يتصرف إلا بأمره ولا يفصل أمرا معضلا إلا بمراجعته وهو
الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف إلا ما كان منها جليلا كالوزارة
والقضاء وكتابة السر والجيش فانه يعرض على السلطان من يصلح وكان قل
أن لا يجاب في شيء يعينه ^(١) .

(و) الطبايق — شكنت الجند^(١)

عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تغني بهم غاية العناية حتى أن الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته إلى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لهمهم ويختبر طعامهم في جودته وورداً فتي رأى فيه عيباً اشتد على المشرف والاستدار ونهرهما وحل بهما منه أى مكروه ، وكان يقول كل الملوك عملوا شيئاً يذكرون به ما بين مال وعقار وأنا عمريت أسواراً وعملت حصوناً مانعة لى ولأولادى والمسلمين وهم المماليك ، وكانت المماليك أبداً تقيم بهذه الطبايق لا تبرح فيها فلما تسلطن الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة في النهار ولا يبيتوا إلا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ، ثم أن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يوماً في الأسبوع فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقضت أيام بن قلاوون ، وكانت للمماليك بهذه الطبايق عادات جميلة أولها أنه إذا قدم بالملوك تاجر عرضه على السلطان ونزله في طبقة جنسه وسأله للطواشى فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والقرن وأداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار وكان الرسم إذ ذاك أن لا تجلب التجار إلا المماليك

(١) لم تكن هذه الطبايق دوراً بعضها فوق بعض بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة من طباق خاص بهم — وكانت هذه الطبايق واقعة في الحوش الذى به اليوم شكنت الحرس المملوكي والمتحف الحربي وجامع سيدي سارية .

الصغار فاذا شب الواحد من الممالك علمه الفقيه شيئا من الفقه وأقرأه فيه مقدمة فاذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك ، فیتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنوا منهم فينتقل إذن إلى الخدمة وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامترج تعظيم الاملام وأهله بقلبه واشتد ساعده في رعاية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر . هذا ولهم أزمة من الخدام وأكابر من رؤس النوب ينحصون عن مال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته فان ضل أحد من موابيه الذي يعلمه القرآن أو الطواشي الذي هو معلم اليه أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه على أنه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه وبلغ من تأديبهم أن مقدم الممالك كان إذا أتاه بعض مقدمي الطباقي في السحر يشاور على مملوك أنه يغتسل من جنابة فيبعث من يكشف عن سبب جنابته لن كان من احتلام فينظر في سراويله هل فيه جنابة أم لا فان لم يجد به جنابة جاءه الموت من كل مكان فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في اظهار الجليل ويردعون من جار أو تعدى وكانت لهم الادارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعالم من الذهب والفضة بحيث تسع أحوال غلمانهم ويفض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق راعى الحال في ذلك بعض الشيء إلى أن زالت دولته في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد إلى المملكة رخص للمالك في سكنى القاهرة وفي النزوح فزلوا من الطباقي من القلعة ونكحوا نساء أهل المدينة واخذوا إلى البطالة ونسوا تلك العوايد

ثم تلاشت الأحوال في أيام الناصر فرج بن برقوق وانقطعت الرواتب من
اللحوم وغيرها حتى عن ممالك الطباق مع قلة عددهم ورتب لكل واحد
منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس فصار غذاؤهم في الغالب الفول
المسلوق عجزا عن شراء اللحوم وغيره هذا وبقي الجلب من الممالك
هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ووناد في تنور
خباز ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك . واستقر رأى الناصر على أن
تسلم الممالك للفقهاء يتلفهم بل يتركون وشؤونهم فبدلت الأرض غير
الأرض وصارت الممالك السلطانية أرواح الناس وأدناهم وأخسهم
قدرا وأشجعهم نفسا وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم اعراضا عن الدين
ما فيهم إلا من هو أذن من قرد وألص من فأرة وأفسد من ذئب لاجرم أن
خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات
بسوء أيلة الحكام وشدة عبث الولاة وسوء تصرف أولى الأمر حتى أنه
ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه وبلغت مدة
الممالك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاون سنة آلاف وسبع مائة
فأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلها طوائف
فأفرد طائفتي الأرمن والجرس وسماها البرجية لأنه أسكنها في أبراج
بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبع مائة وأفرد جنس الخطا والقبجاق
وأنزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية وجعل منهم جمدارية وسقاة
وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمدارية وجاشنكيرية
واوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب الممالك من بلاد أذربك
وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار
في حملهم إليه ودفن فيها الأموال العظيمة ثم أفاض على من يشتريه منهم
أنواع العطاء من عامة الأصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة
أبيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل الممالك في أطوار الخدم حتى يتدرب
ويعلم كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر إلى عشرة دنانير ثم نقلته
من الجاشنكيرية إلى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملأ أعينهم
بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأناه من الممالك شيء كثير رغبة فيما لديه حتى

كان الأب يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه إلى مصر وبلغ ثمن المملوك في أيامه إلى مائة ألف درهم فما دونها . وبلغت نفقات المالك في كل شهر إلى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى صارت في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم^(١)

(ز) الطبلخانة

شيدت الطبلخانة تحت القلعة فيما بين السلسلة (باب العزب)^(٢) وباب المدرج في مكان دار العدل القديمة التي هدمها الناصر محمد بن قلاوون عام ٥٧٢٢هـ (١٣٣٢م) وصار ينزل إلى عمارتها بين الفينة والفينة وتولى عمارتها آق سنقر . شاد العماير — ووجد في أساسها أربعة قبور عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنهشوا ونقلوا قريبا من القلعة .

وكانت الطبلخانة ساحة بغير سقف فلما ولي الأمير سودون طاز أمير أخور وسكن الاصطبل السلطاني . عمر هذه الطباق فوق الطباق وكان الغرض من عمارتها صحيفا فان المدرسة الاشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخانة . ولما كان زمام الفن بين أمراء الدولة تحصن فرقها طائفة ليرموا على الاصطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطباق فوق الطباق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الأشرفية .

ومن المحتمل أن تكون دار المحفوظات الحالية قد شيدت على انقاض الطبلخانة . ونحن لانعلم بعد ما صارت عليه هذه الطبلخانة فيما بعد وفي أي عصر أهمل شأنها وزال استخدامها .

(١) الخطط المقرية ج ٣ ص ٣٤٦ — ٣٤٨

(٢) ليس هو باب العزب القائم اليوم بل على مقربة منه

(ح) الحوش :

استهل العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) وكانت مساحته أربعة فدادين . وكان موضعه بركة كبيرة قطع ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا .

وحينما شرع في العمل ، القى على عاتق كل أمير من أمراء المؤمنين تقديم مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب ، كما عهد بنفس الشيء الى كل أمير من أمراء الطبليخانه ، ونذب الأمير أقبغا عبد الواحد "شاد العمار" للاشراف على عملية البناء .

وتواند من لدن كل أمير جنده ودرايه كما مثالت الأسارى ، وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس ، واستقدمت رجال النواحي ، وجلس استادار كل أمير فى خيمة ووزع العمل عليهم بالاقصااب . ومضى العمل على النسق المرتب ، يواله بعنايه الأمير أقبغا الذى كان لا ينفك يستحث الناس فى مرعة العمل واتقائه . وكان الملك الناصر يحضر يوميا بنفسه يتفقد مسيرة العمل .

ومما يذكر أن العمال نالهم من مشاق العمل ضرر بالغ مرجعه شدة الحر وقسوة العجر .

ونقض المال ايديهم من البناء بانقضاء سنة وثلاثين يوما ، وصار معدا الأعداد الذى وضع له فى بداية الأمر .

وكان أن حشد فيه الفئ رأس من الغنم والأبقار جلبت من الصعيد والوجه البحرى ، ثم أجرى المساء بين جوانحه من القلعة وقد قيل أن أعداد الأغنام بلغت بعد موت الملك الناصر ثلاثين الف رأس سوى اتباعها ، ولأسباب ما أبطل استعمال الحوش للحيوانات .

وفي أيام الملك الظاهر برقوق ، اتخذ الحوش مقرا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف ومكان هذا الحوش اليوم — القسم المنخفض من مباني القلعة في الجهة الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كتيخدا . وهو القاعة الكبيرة التي تسمى قاعة العدل — انشأها محمد علي الكبير في سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٤م) وكان يجلس فيها الكتيخدا أي وكيل الوالي لنظر أمور الدولة ومصالح الناس ويوجد في الحوش الأنف الذي ذكر دار الضرب القديمة التي كانت في وقت ما دارا للمحفوظات — وجعلها داخل سور القلعة الحالية .

(ط) الاسطبلات :

كان أول من استحدثت الاسطبلات بالقلعة — الملك الكامل واستمرت في أيام خلفائه ، ولكن على عهد محمد بن قلاوون زادت نموا ونشاطا واتسعت رحابها — فهو بحق لا يعتبر منشئها ولكن مجددتها ومحبيها .

وقد أسهب المقرئ في الكلام عن هذه الاسطبلات . وهي مجموعة من المباني كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتي المماليك بغية سكنى الأمير هو وأسرتة ومماليكه وخبوله — فكان الاسطبل يشمل قصر السكيني وبيوت المماليكه واسطبلات لجياده ومخازن لمؤوتها وحفظ سروجها — ومثال لها اسطبل قوصون الذي كان بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان أحدهما من الشارع بجوار حدوة البقرة والثاني قبالة باب القلعة المعروف بباب السلسلة — انشأه الأمير علم الدين سنجر الجقदार ولكن ابتاعه منه الأمير سيف الدين قوصون وصرف له ثمنه من بيت المال . وما لبث أن زاد فيه قوصون وأضاف بداخله عدة عمائر بين دور اسطبلات . بجاء قصرا عظيما .

وموضع اسطبل قوصون^(١) اليوم المنطقة التي تتضمن القصر الأثرى الباقي الى اليوم خلف جامع السلطان حسن المعروف بقصر يشيك أو بقصر الأمير اقردى الدوادر وقد حرف العامة الاسم الى بردق فأصبح يعرف بقصر بردق — والأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر التي كانت تعرف بجوش بردق والأرض القائم عليها الآن مدرسة عثمان باشا ماهر الواقعة خلف القصر بشارع قرقول المنشية والأرض القائم عليها النصف الغربى من عمارة والده الخديوى اسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا المطلة على ميدان صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن

وكانت وظيفة ناظر الاسطبلات جارية القدر فى أيام المماليك ، وأول من استجدها الملك الناصر محمد بن قلاوون

ويستفاد مما ذكره المقرئى أن الأسطبل السلطاني فى أيام الناصر محمد مكانه اليوم مجموعة المباني التي بها مخازن وورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديماً باب الاسطبل — فى المسافة الممتدة بين جامع احمد اغا الى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلىة والشرقية — هذا مع العلم بأن المكان الحالى للاسطبل المذكور ليس فى منسوب أرضية قلعة الجبل بل هو فى مستوى أوطى مما عليه فى القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربى المنصرف على ميدان صلاح الدين^(٢) .

(ى) الميدان :

والى هنا قد تكلمنا عن مشتملات قلعة الجبل الرئيسية فى داخلها وخارجها ، ولا بد أن نحول حديثنا الى ميادينها حيث يتدرب الجند ويعرض الجيش .

(١) محمد رمزى — تعليقات النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ١١٠ — ١١١

(٢) محمد رمزى — تعليقات النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ٣٦

لقد احتوت القاهرة على ميادين شتى ، والحديث عنها ليس هذا بمجاله
فدنتهمر الحديث الآن عن ميادين القلعة . فنلجأ إلى عمدتنا فى البحث
وهو المقرىزى .

كان أهم تلك الميادين — وما زال إلى اليوم — قره ميدان ، أو الميدان
الأسود ، وهو الذى يطلق عليه المقرىزى ميدان القلعة .

مثل هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون . جدده الملك الكامل
بن العادل فى عام ٦١١ هـ (١٢١٤ م) ثم عنى به الملك الصالح نجم الدين
أيوب عناية زائدة وأنشأ حوله الأشجار . فجاء من أحسن الميادين . وفى عام
٦٥١ هـ هدمه الملك المعز أيبك التركمانى فزال آثاره . وفى عام ٧١٢ هـ
(١٣١٢ م) عمره الملك الناصر محمد بن قلاون وحفر فيه الآبار والسواقى
وغرس خلاله النخيل والأشجار وأدار عليه سورا من الحجر وبنى حوضا للنيل
من خارجه . فتأتى ميدانا فسيح المسمى يمتد تحت سور القلعة من باب
الأسطبل إلى قرب الترافة . ويسـتفاد مما أورده ابن أياس فى كتاب
”بدائع الزهور“ (ص ٥٦ ج ٤) أن السلطان الأشرف قنصوه الغورى
عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثيل فى سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) فردم
أرضه بالطين وعلى أسواره وجعل له بابا كبيرا مطلا على الرميطة وعليه
قصر فاجر . وأنشأ بالميدان بستانا غرس فيه جميع أنواع أشجار الفاكهة
وهيا به مقعدا وبيتا كما أقام فى الجهة الغربية منه قصرا حافلا ومنظرة
وغير ذلك من المباني الفائرة .

ومن هذا يتبدى أن ميدان القلعة والميدان الأسود أو قره ميدان مكانه
اليوم ميدان صلاح الدين ويقال له ميدان المنشية .

ويقول المقرىزى أن الملك الناصر لما انتهى من تعديل هذا الميدان
نزل إليه وأحب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم . واستمر يلعب فيه يومى
الثلاثاء والسبت . وصار القصر الأبقى يشرف على هذا الميدان . وإذا
ركب السلطان إليه نزل من درج على قصره الجوانى . فينزل السلطان إلى

الاسطول الخاص ثم إلى هذا الميدان وهو راكب وخواصص الأمراء في خدمته فيعرض الحبول الخاصة للتفصيح — وفي هذا الميدان يصل السلطان أيضا صلاة العيدين ويكون نزوله إليه في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر في الممتد التزل منه . فإذا ركب من باب قصره ونزل إلى متفذه من الاسطول إلى هذا الميدان ينزل في دهليز سلطاني قد ضرب له على أكل ما يكون من الابهة فيصل ويستمع الخطبة ثم يركب ويعود إلى الايوان الكبير ويمد سمائه ... إلى أن كانت سنة ٨٠٠ هـ (١٣٩٨ م) فصل الملك الظاهر برفوق عيد النحر بجامع القاعة لتخوفه بعد وفاة الأمير ولي باي فهجر الميدان (١)

(ك) قناطر مياه القلعة :

ومن أظهر الأعمال الجليلة التي مانفك أثرها باقيا إليه اليوم تشهد بعلو رأى الملك الناصر محمد — قناطر المياه التي أمر بتشيدتها لنقل المياه بواسطة إلى القلعة . وهو مشروع جبار تدل على بعد نظره ومهارة مهندس ذلك العصر الذهبي في تاريخ القاعة بل وفي تقدم مصر الهندسي في ذلك الحين .

ولقد أفرد المقرئى عدة صفحات من كتابه لوصف هذه القناطر العظيمة . وسنقل عنه ما جاء فيه لكي نصل إلى جواب هذا السؤال "من أين تستقى القلعة ؟ . . ."

جميع مياه القلعة عن ماء النيل تنقل من موضع إلى موضع حتى تمر في جميع ما يحتاج إليه بالقلعة . وقد اهتم الملوك بعمل السواقي التي تنقل الماء من بحر النيل إلى القلعة عناية عظيمة — فأنشأ الملك الناصر محمد قلاون في سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) أربعة سواقي على النيل تنقل الماء إلى السور ثم من السور القاعة وعمل نقالة من المصنع الذي عمله الظاهر

(١) الخطط المقرئية (الطبعة الفرنسية) ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩

يبرس بجوار زاوية تقى الدين رجب التى بالرميلة تحت القلعة إلى بئر الاسطبل — فلما كانت ٧٢٨ هـ (١٣٢٩ م) عمل الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقلعة . ويكون حفر الخليج فى الجبل فنزل لكشف ذلك ومعه المهندسون بخاء قياس الخليج طولاً اثنين وأربعين ألف قصبة فيممر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القلعة فإذا حاذها بنى هناك خبائاً نحل الماء إلى القلعة ليصير الماء بها غزيراً كثيراً دائماً صيفاً وشتاء لا ينقطع ولا يتكف لحملة ونقله ثم يمر من محاذة القلعة حتى ينتهى إلى الجبل الأحمر فيصب من أعلاه إلى تلك الأرض حتى تزرع . وعند ما أراد الشروع فى ذلك طاب الأمير سيف الدين قسطلوبك بن قراستقر الجاشنكير أحد أمراء الطبليخانة بدمشق بعد ما فرغ من بناء القناة وساق العين إلى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد إلى قلعة الجبل . فانزلوا ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب وتوجهوا إلى حلوان ووزنوا مجرى الماء وعادوا إلى السلطان وصوبوا رأيه فيما قصد والتمروا بعمله . فقال كم تريدون . قالوا ثمانين ألف دينار فقال ليس هذا بكثير .

فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ قالوا عشر سنين . فاستكثر طول المدة . ولما تشاور الأمراء لم يعارضه فيه أحد إلا الفخر ناظر الجيش . فانه قال : بمن يحفر السلطان هذا الخليج ؟ قال : بالعسكر . قال : والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطانى وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل فانه يحتاج الى ثلاث خزان من المال . ثم هل يصح أولاً ؟ فرجع السلطان عن عمله .

ثم أعاد السلطان — قسطلوبك وعماله — إلى دمشق ومات عقب ذلك فى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٣٩ م) .

فلما كانت سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) اهتم الملك الناصر ثانية بسوق الماء إلى القلعة وتكثيره بها لسقى الأشجار وملء الفساق ولأجل مراحات الغنم والابقار . فطلب المهندسين والبنائين ونزل معهم وسار في طول القناطر التي تحمل الماء من النيل إلى القلعة حتى انتهى إلى الساحل . فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحد يجري إلى القلعة . فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء أيضا فركب ومعه المهندسون إلى بركة الحبش^(١) وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر إلى حائط الرصد^(٢) وينقر في الحجر تحت الرصد عشرة آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب على الآبار السواقي لتقل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة زيادة لمسائها وكان فيما بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وبساتين عدة — فندب الأمير البغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج واشترى الأملاك من أربابها — فحفر الخليج وأجرأه في وسط بستان الصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع انشائه وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الأشجار ونقر الآبار — وصار السلاطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل — فعمل عمق الخليج من فم البحر أربعة قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا . ولكن توفي السلاطان قبل تمام هذا العمل — فبطل وانطمر الخليج بعد ذلك .

(١) هذه البركة كانت واقعة جنوبي مدينة مصر فيما بين النيل والجبل ولم تكن بركة بالمعنى المعروف وإنما كانت حوضا من الأراضي الزراعية ينمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا بواسطة خليج بنى وائل . فكانت الأرض وقت أن ينمرها الماء، تشبه البرك .

(٢) يعرف اليوم بجبل اسطبل عنتر تجارة قرية أثر النبي جنوبي مصر القديمة . ويعلوه الآن مبنى جددة محمد على الكبير وجعله مخزا للبارود باسم جبجانة أثر النبي وتسميه العامة اسطبل عنتر وإليه ينسب جبل الرصد المذكور — وحائط الرصد هذا هو جهة الجبل الغربية التي تشرف على قرية أثر النبي (محمد رمزي) .

منه إلى اليوم قطعة بجوار رباط الآثار^(١) حتى هدمها الأمير يلينا السالمى
فى سنة ٨١٢ هـ (١٤٠٩ م) وأخذ ما كان به من الحجر فرم به القناطر إلى
كانت تحمل الماء حتى يصل إلى القلعة وكانت تعرف بسواقى السلطان ،
فلما هدمت جهل أكثر الناس أمرها ونسوا ذكرها .

القلعة فى أعقاب عصر الملك الناصر بن قلاوون

طالعنا فى الفصل السابق تلك الآثار الخالدة من العمارات الجليلة التى شاهدها
السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون فى قلعة القاهرة . والتى يتضاءل
شأنها تدريجيا حتى شغلها العثمانيون حينما من الدهر وأتوا على ما كانت عليه
من روعة وجمال . فلما وفد الفرنسيون على مصر ، فى آخريات القرن الثامن
عشر ، كانت خرائب بالية قد تحدىك أحجارها عن ماضيها المؤرد .

فى أيام خلفاء محمد بن قلاوون ، فى الأبناء والأحفاد ، شيد بعضهم
طائفة من القاعات والقصور الصغيرة ، كان منها قاعة الدهيشة والبسرية

قاعة الدهيشة :

تحدث عن هذه القاعة المقرزى فى خطه . فقال :

عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين اسماعيل بن محمد بن قلاوون
فى سنة خمس وأربعين وسبع مائة وذلك أنه بلغه من الملك المؤيد عماد الدين
صاحب حماء أنه عمر بحماه دهيشة لم يكن مثلهما فقد قصد مضاهاته وبعث

(١) رباط الآثار لا يزال موجودا عامرا باقامة الشئز الدينية باسم جامع أثر النبى
بقريه أثر النبى الواقعة على النيل جنوبى مصر القديمة وقد عمرها صاحب تاج الدين محمدومات
فى سنة ٧٠٧ هـ قبل أن يكمله . فأكمله ولده ناصر الدين محمد وقيل له رباط الآثار لأن
الصاحب تاج الدين المذكور كان أهدى بعض القطع الأثرية من خلفات النبى محمد صلعم
ووضعها فى خزانة بهذا الرباط فعرف بها (محمد بك رمزى — تليقات النجوم الزاهرة

الأمير أجبها المهندس لكشف دهيشة حماة وكتب لنائب حلب
ونائب دمشق يحمل النقي حجر بيض والنقي حجر حمر من حلب ودمشق وحشرت
الجمال لجلها حتى وصلت إلى قلعة الجبل وصرفت في حملتها كل حجر من
حلب ودمشق اثنا عشر درهما ومن دمشق ثمانية دراهم واستدعى الرخام
من مائرا أمراء وجميع الكتاب ورسم باحضار الصناع للعمل ووقع الشروع
فيها حتى تمت في شهر رمضان منها وقد بلغ مصروفها خمسمائة ألف درهم
سوى ما قد من دمشق وحلب وغيرهما وعمل لها من الفرش والبسط والآلات
ما يحل وصفه بها (١)

وقد قيل أن والده الناصر محمد ابتداء في عمارتها ولم يفته منها فأكلها ابنه
هذا . ولم يستطع أحد بعد تفسير كلمة دهيشة — قد تكون "حما" أو
ما يشبه المدرسة أو الريع (٢)

قاعة البيسرية

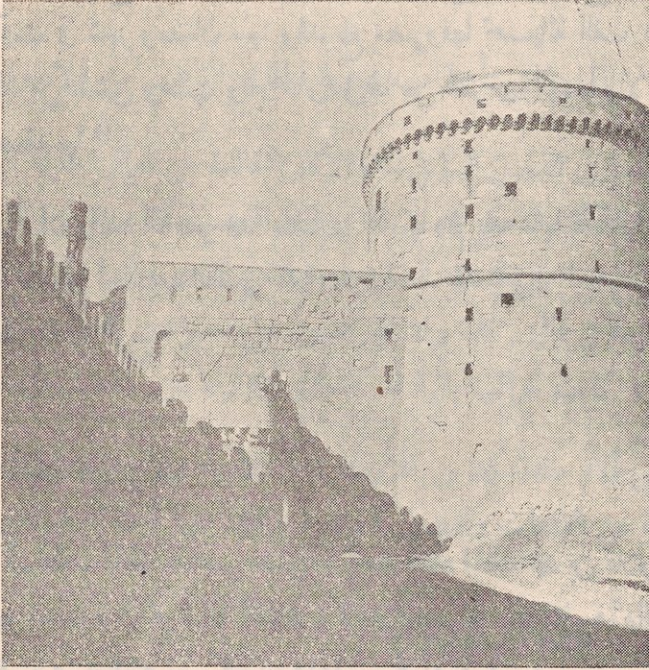
وشيد السلطان الملك الناصر حسن ، أحد أبناء الملك محمد بن قلاوون ،
الذي اشتهر بمسجده الرائع قبالة القلعة ، قاعة البيسرية . ومثل هذه القاعة
خصصها المقرئ بنعانيته — كعهد دائما — فنراه يقول :

كان ابتداء بنائها في أول يوم من شعبان سنة ٥٧٦١ (١٣٦١م) ونهاية
عمارتها في ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة بخواتم من الحسن في غاية
لم ير مثلهما وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط ما لا تدخل قيمته تحت
حصص فن ذلك تسعة وأربعون ثريا برسم وقود القنابل جملة ما دخل فيها

(١) الخطوط المقرئية ج ٢ ص ٢١٢

(٢) كازانواغا — تاريخ القلعة بالفرنسية

من الفضة البيضاء الخالصة المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطاية بالذهب وجاء ارتفاع بناء هذه القاعة طولا في السماء ثمانية وثمانين ذراعا وعمل السلطان لها برجاً يبيت فيه من العاج والأبنوس مطعم يجلس بين يديه وأكتاف وباب يدخل منه وفيه مقرنص قطعة واحدة يكاد



(شكل ١ — برج المقطم بالسور الجنوبي بالقاعة)

يذهل الناظر إليه بشبابيك ذهب خالص وطرافات ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ وفيه مصوغة من ذهب صرف فيه ثمانية وثلاثون ألف مثقال من الذهب وصرف في بؤنة وأجره تمثنة ألف ألف درهم فضة عنها خمسون ألف دينار ذهباً ويصدر إيوان هذه القاعة شباك حديد يقارب باب زويلة يطل على جنيحة بدیعة الشكل (١)

(١) المخطط المقرنصة — ج ٣ ص ٣٤٤

القلعة في عهد السلاطين الجراكسة

(١٣٨٢ — ١٥١٧)

جرى ملوك أسرة الجراكسة هلى السككنى فى أبراج القلعة ، وتركوا جزيرة الروضة ، حيث عاش معظم الممالك البحرية .

وأول سلاطين الجراكسة السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق (٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م) ومن أظهر أعماله فى القلعة أنه جدد عمارة القاعة التى تحمل ماء النيل الى قلعة الجبل ، وجدد عمارة الميدان من تحت القاعة بعد ما أضناه الخراب ، بل ورواه وزرع فيه القرط وغرس به النخيل ، وعمر صهر يحمى بالأى بالمياء ومكتباً لتعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم وجعل عليه وقفاً ، كما عمر أيضاً بالقلعة طاحونا وسبيلاً تجاه باب الضيافة قبالة القلعة ، وابتاع بسطا جديدة لدار العدل عام (٧٨٧ هـ — ١٣٨٥ م) .

وقد أورى المقريزى فى "كتاب السلوك" أن فى ناسع جمادى الأولى من (عام ٧٩٠ هـ أو ما يليه) قدمت طوائف من المجنسين ونزلوا تحت القلعة وشروعوا فى حفر منق فى القلعة وراء أسوارها ، وتوعير طريق باب القلعة (باب القرافة) ، وتوعير باب الخوش وباب الدرفيل ، كما تزايد الاهتمام بتحصين القلعة ونقل الأحجار إليها لاستخدامها فى المنجنيق .

وفضلاً عن ذلك ، أمر ببناء حائط بين باب الدرفيل وصور القلعة ، وأن يتقام حائط آخر فى جوار باب الدرفيل الى الجبل ، وسد باب الدرفيل وباب سارية (الباب المدرج) تحت دار الضيافة .

وهناك كتابة منقوشة تعزز أعمال التحصين التى سلفت ، وهى بادية فى جدار القلعة ، الذى يعزى الى المغفور له الخديوى اسماعيل أمر تجديده .

"بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على يد المقر الأشرف السيفى جركس الخليلي

(١) موضع الكتابة الاصلى غير موضعها الحالى . وقد لاحظ كازانوف فى جزء من قطعة السور المجاورة فراغا مساحته تعادل لوحة الكتابة المذكورة .

أمير أخور الملوك الظاهري وذلك بتاريخ شهر (ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

وقد لعب جركس الخليل هذا دورا كبيرا في أيام برقوق . فهو الذي كان يباشر بناء مستشفى برقوق الكبير ، وهو مشيد خان الخليل المعروف ونظرة الخليل . وقد قتل في إحدى الحملات العسكرية بالقرب من دمشق في ١١ ربيع الثاني عام ٧٩١ هـ (١٣٨٩ م) بعد انقضاء وقت قليل على انتهاء عمارة سور القلعة .

وتولى العرش بعد برقوق ابنه فرج (٨٠١ هـ - ١٣٩٩ م) وله من العمر ثلاث عشرة سنة . فأمر بتشيد مسجد الحوش هام (١٨١٢ هـ - ١٤٠٩ م) وكان هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني - وصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملك الناصر محمد . إلى أن قتل فرج على يد الأمير شيخ الزعيم الكبير . وقد سبق هذه الجريمة حدوث اضطرابات في القاهرة وكان الأمير استبغا الزردكاش في القلعة ، فلما سمع بمصير الأحوال وقرب وصل الأمير شيخ بعد مطاردته فرج ، شرع في تحصين القلعة واحتزان الطعام والماء . ولكن لم يجد كل هذا واستحوذ الأمير شيخ على القلعة وهزل فرج وانهى الأمر بموته وولى مكانه المستعين سلطانا على مصر وكان العوبة في يده وما لبث الأمر طويلا حتى كسب العرش لنفسه (٨١٥ هـ - ١٤١٢ م)

واهتم السلطان شيخ المؤيد بترميم القلعة ، ولكن أحدا من المؤرخين لم يف تلك الأعمال حقها من التفصيل ومن أظهر تلك الأعمال القيمة بالتسجيل تشييده جامع على مقربة من سور القلعة . يسميه المقرئ (جامع الصوه) ، وكان موقفه بين الطليغاه وباب القلعة (المدرج) .

وقد ذكر المؤرخ ابن أبياس بأن هذا السلطان كان لا يقيم بالقلعة إلا قليلا وكان - في معظم أيامه - يلوذ بيت ابن البارزى في بولاق ، إلى أن مات بعد مرض لم يمهله طويلا ، وترك العرش لابنه أحمد .

وتقر السنون سواما ، ولا يذكر المؤرخون شيئا عن عمارة القلعة سنون مددها خمسين على وجه التقريب إلى أن يجلس على العرش السلطان الأشرف قايتباى (٥٨٧٢ - ١٤٦٧ م) اللهم إلا السلطان جقمق الذى نازع منافسه السلطان يوسف برسباى نخله ويخونه وتولى الحكم بدلا منه . ومما يذكر أن لهذا السلطان لوحة نقشت عليها الكتابة الآتية وثبتت فى الحائط الأيمن لدخل باب السارية ويفهم منها ماتم على يديه فى القلعة .

”بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أمر بتجديد هذا سلم المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك وقنا الملك الأعظم سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محب العدل فى العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان العرب والعجم وصاحب السيف والفلم والبند والعلم أفضل من حكم فى عصره بالحكم صاحب الديار المصرية والنلاع الشامية والسواحلية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق هز نصره (بتاريخ شهر) جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين وثمان مائة“ .

ولم يتناول ابن اياص أعمال السلطان قايتباى فى القلعة إلا أنه جدد عمارة الإيوان الكبير بالقلعة . وأتينا المئذنة الكبير والبيتين اللذين فى الحوش السلطانى .

وهناك على اليمين — نقش بامم قايتباى (١٤٦٧ - ١٤٦٦ م) يشمل الكتابة التالية :

”بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آله وصحبه وسلم

أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطان من فضل الله تعالى وحسن عطائه ونعمته سيدنا ومولانا مالك وقنا سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محب العدل فى العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى أطال الله ملكه“ .

وخلف قايتباى ابنه الناصر محمد (١٤٩٦) ولم تمتد حياته فقد قتل بعد سنوات قلائل ، خلفه ثلاثة سلاطين ضعاف تعاقبوا على العرش وهم على التوالى . قانصوه الأشرفى وجانبلاط وطومان باى الأول . تميز عهدهم بقصر فترة الحكم ، وتكاثر الاضطرابات ، وانتهاء كل منهم بالعزل ، نتيجة لهياج الممالك ، ومحاصرتهم القلعة اطردهم .

وبالرغم من وجود لوحة رخامية مستطيلة عليها كتابة بالنسخ الجميل ما زالت باقية فى مكانها الى اليوم تحمل اسم السلطان أبونصر طومان باى ، فاننا نرى أن قصر مدة حكمه ^(١) لا تسمح باجراء العمارة التى نوه بها فى تلك اللوحة ، ونعتقد عن يقين أنها تعزى للسلطان جنبلاط (٩٠٥ — ٩٠٦ هـ) يؤيدنا فى ذلك ما أورده المؤرخ المصرى ابن أياس فى كتابه .
قال :

إن السلطان (جنبلاط) أخذ فى أسباب تحصين القلعة بالمدافع وتركيب المكاحل وادخر فيها ما يحتاج اليه من بقسماط ودقيق وجبن وعسل وخطب وعليق وملاً الصهاريج بالماء . وادخل فى القلعة أشياء كثيرة من احتياج المطبخ ثم بنى برجاً محيطاً على باب السلسلة وبنى باباً بالجر على باب المدرج وحصن الابراج التى حول القلعة . ثم إن السلطان صار ينزل إلى الرملة ويكشف على البنائين الذين يبنون الابراج — وكاد يأمر بهدم قبة مدرسة السلطان حسن لولا أن راجعه فى ذلك الأمير تغرى بردى الاستادار .

تمت كل هذه التصديحات لتقوية مباني القلعة خوفاً من غزو العثمانيين مصر . فقد أصبحوا يهددون مصر من ناحية حدودها الشمالية الشرقية فى جهة الشام — وظهر أثر حملتهم على أيام السلطان قانصوه الغورى وهزيمته فى معركة برج دابق قرب حلب واستشهاده تحت سنانك الخيل . ولم تقاوم أسوار القلعة أو أبراجها قبالة محافل العثمانيين ومدنهم الخفيفة فى الميدان

(١) كانت مدة حكم طومان باى الأول ثلاثة شهور و ١٣ يوماً بحسب .

واستقرت مصر طيلة ثلاثة قرون تقريبا في إغفاءة عميقة . إلى أن أنهضها
من سباتها محمد على الكبير .

فماذا عمر فيها السلطان قانصوه . . .

لندع ابن اياس يحيب لنا عن هذا السؤال — فهو مؤرخ هذا العصر
الأوحد يشاركه زميله ابن زنبيل الرمال — يذكر ابن اياس أن السلطان .
أنشأ الميدان الذى كان تحت القلعة ونقل اليه اشجارا من الشام وجرى اليه
ماء النيل من سواقي نقاله وأنشابه المناظر والبحرة (!) والمقعد والمبيت .
وحدد غالب عمارة القلعة منها الدهيشة وقاعة البيدرية وقاعة العواميد وقاعة
البحرة وأنشأ المقعد القبلى الذى بالحوش وحدد عمارة المطبخ الذى فى القلعة
وحدد عمارة القصر الكبير الذى بالقلعة .

فى تلك الأيام كان السلطان الغورى يدبر ملكا واسعا — الملك الذى
ذكره أبو الطيب المنتهى وهو يمدح كافور الاخشيدى :

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق . فارض الروم فالنوب

كانت مصر والشام وبلاد العرب وبعض الجزيرة والقسم الجنوبى من
آسيا الصغرى فى سلطان ملوك مصر فى معظم العصور الاسلامية . وكانت
كذلك أيام الغورى وبلغت الأساطيل المصرية سواحل الهند — وبني
عليها قلاعا لحماية التجارة . وقد اجتهد الغورى زمنا فى الاحتفاظ بسلطان
المصريين فى تلك الارحاء على رغم البرتغاليين . وكان بعض أمراء الهند
يستنجدونه على الفرنج فيرسل الأساطيل والجنود فى الحين بعد الحين .

ولسنا نؤرخ مصر الاسلامية . ولتقصر كلامنا على تاريخ القلعة أيام
الغورى . ومعيننا فى هذا المؤرخ ابن اياس الذى يقول فى حوادث المحرم
سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩) .

(١) عبد الوهاب عزام — مجالس السلطان الغورى ص ٥ — مطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر .

”من الوقائع اللطيفة أن في يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشرة .
 نزل السلطان إلى الميدان ونصب خيمة كبيرة . وملا البحيرة التي أنشأها
 هناك من ماء النيل من المجرة التي أنشأها . ثم رسم بجمع كل ورد في القاهرة
 ووضعها في تلك البحيرة . وجمع قراء البلد قاطبة والوعاظ . وعلق أحمالا
 بها قناديل — وفرش حول البحيرة الفرش الفاخرة . وعزم على القضاة
 الأربعة . وسائر الأمراء من كبير وصغير وأرباب الوظائف من المباشرين
 وأعيان الناس قاطبة . وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده
 الاتابكي وجماعة من الأمراء .

ومد تلك الليلة أسمطة حافلة أعظم من سباط المولد . فمد في السباط
 أربعة صحن صيني . ورسم بأن تعمل المأمونية المحوية وكل قطعه نصف
 رطل . وكان من الأرز والدجاج والغنم ما لا ينحصر . ومن اللحم ألف
 ونمسمائة رطل . ومن الدجاج ألف طير . ومن الأوز نمسمائة طير ،
 ومن الغنم المعاليف نمسين معلونا ، ومن الرمسان الرضع أربعين وميسا ،
 حتى قبل صرف على ذلك السباط فوق الألف دينار بما فيه من حلوى
 وفاكهة وسكر وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهورة .

وكان النورى مولعا بالحدائق والأزهار وأجرأ المياه في الحدائق واتخاف
 الأحواض والنافورات يدل على ذلك ما انتهجه في ميدان القلعة . ومثل
 هذا الميدان وصفه الشاعر الشريفى مترجم الشاهنامه ، وذكره ابن عباس
 كثيرا . يقول في حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٥ (١٥٠٨) .

وفيهما كان انتهاء العمل من المجرة التي أنشأها السلطان كما تقدم . فدارت
 هناك الدواليب وجرى الماء في المجرة حتى وصل إلى الميدان الذي تحت
 القلعة .

ثم أن السلطان صنع سواقى تالة . وبني ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء .
 النيل برسم المسالك الذين يلعبون الرمح في الميدان وشرع في بناء بحيرة في وسط

ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان فكان طول تلك البحيرة نحواً من الأربعين ذراعاً وقيل أكثر من ذلك وبني هناك عدة مقاعد ومناظر ومظلات هلى ذلك البستان .

وفى حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥هـ (١٥١٠م).

وفى هذه السنة أينعت الأشجار التى غرّمها السلطان بالميدان ، وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة ، فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والأبنوس ويفرش فوقها مقعد منجمل ينطع ويحاس عليه وتظله فروع الياصمين وتقف حوله الممالك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ويعلق فى الأشجار الأقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزازات ومطوق وبلابل وشحاري وقمارى وفواخت وغير ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبشى وبط صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة ، إلى أن يقول ، وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض .

وقد عاش بمصر ، فى عصر الغورى ، علماء كبار أمثال جلال الدين السيوطى والسخاوى والقسطلانى وزكريا الانصارى .

وقد ترك السلطان الغورى لاسمه على أحد عقود قاطر المياه الكبيرة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة .

وهناك لوحة رسمها جنتيل بلينى Gentile Bellini تمثل استقبال الغورى لسفير البندقية فى القلعة ويرى فيها السلطان جالسا على المصطبة التى بنىها فى الحوش^(١) . ونلاحظ أنه بدون سقف ، وقد كان أول من جلس على التكة السلطان قايتباى ، ولما اعتلى العرش السلطان طومان باى الثانى آخر ملوك الشراكسة (١٥١٦ - ١٥١٧م) أمر بهدم المصطبة المذكورة

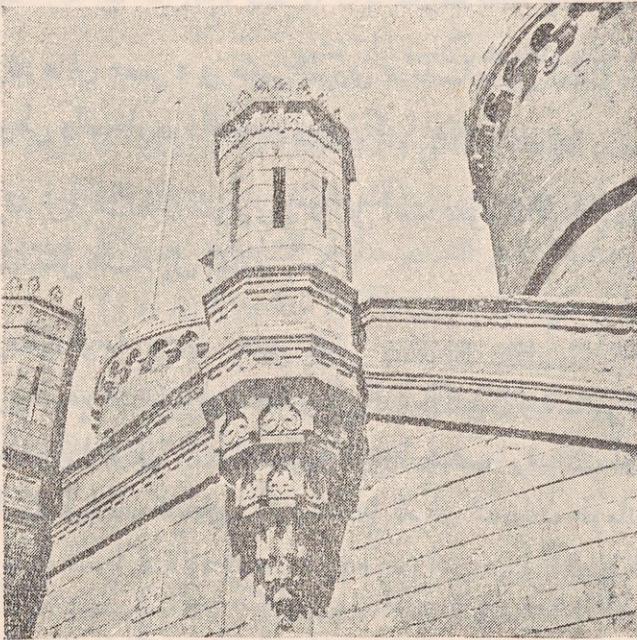
(١) هناك رأى آخر عن هذه اللوحة المحفوظة فى متحف اللوفر بباريس يقول انها تمثل أحد سلاطين آل عثمان فى الامتانة .

وأعادها تكة كما كانت في أيام قايتباى — وكانت قد تهدمت فأصلحها
وكسيت بالجوخ الأصفر وصار يجاس عليها للمحاجات كما كان يجاس قايتباى
وقد قال ابن إياس عنها .

قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم
وصرطومان باى بين الورى يمشى الشاه مع الضعفم
فيأله من ملك وماله قد شاع بين العرب والعجم

وفي أيام العثمانيين يحنى ذكر ديوان الغورى وديوان قايتباى والسلم الذى
يتوسط الديوانين ... وكذلك حوش الديوان — ونلاحظ وجود تلك العمار
في خريطة الفرنسيين اتى وضعوها عام ١٧٩٨ كما تظهر السبع حدرات
والباب الوسطانى ...

وبهذا ينتهى تاريخ القلعة على عهد دولة المماليك الشراكسة .



(شكل ٢ — أبراج صغيرة أمام باب الغزب)

القلعة في أيام القلقشندى والمقرىزى

في القرن الخامس عشر

اجتمعت لدينا جميع العناصر الضرورية التى تتألف من المتون الطويلة التى وردت في موسوعتى المقرىزى والقلقشندى . وهما مؤرخان مصريان عاصرا القلعة في أزهى أيامها . ومما سجلاه في سفرهما الضخمين نستطيع بسهولة أن نعطى للقارئ وصفا واضحاً للقلعة في منتصف القرن الخامس عشر .

والآن لنتمثل أن زائراً وفد على مصر عام ١٤٤٨ مثلاً ، فما الذى كانت تقع عليه عيناه ؟ ..

عقب خروجه من باب زويلة ، ميمماً صوب الجنوب ، يجد هذا الزائر أمامه طريقين أحدهما يصل إلى الفسطاط إلى جهة الجنوب وهو طريق الصليبية ، وثنان هما ينضى إلى الشرق أى القلعة وهو طريق الدرب الأحمر فإذا عبر حى النبالة تفرع الطريق إلى فرعين أولهما إلى يمينه ويصل إلى ميدان الرملة (صلاح الدين) حيث جامع السلطان حسن يواجهه باب السلسلة وإلى داخله يلتقى المسالك التى تتألف منها ملحقات مبانى القلعة في أيام الأمن والرخاء كالمقاعد والقاعات التى شيدها السلاطين قبل مائة عام (القرن الرابع عشر) .

ويرى الزائر — أثر اجتيازه باب السلسلة — اسطبلات السلطان والمقعد المعد للاستقبال الذى يطل على ميدان الرملة والمسجد الذى شاده السلطان فرج بن برقوق عام ٨١٢ هـ (١٤١٠ م) . وإلى اليمين تقابله اسطبلات السلطان التى تتصل بباب السلسلة بوساطة مبنى كان يستعمل سجنًا للامراء الكبار وكان يسمى (الحراقة) يوصل إليه بدرج . ومن المحتمل أن تكون هذه الحراقة فى الأصل مكاناً يقذف منه الوقود الماتهب على الأعداء الذين

يجرون على اقتحام القلعة من طريق باب السلسلة^(١) وسكنها بعض الأعوام
أحد الأمراء المكلفين بمراقبة ميدان الرميطة .

ولنراجع — بعد هذه النظرة العابرة — تلك المنشآت التي شاهدها الزائر
فهناك خلف مسجد الأسطبل يوجد طريق منعوت في الصخر يسير بحاذية
الصور المنيع الذي يحيط بالقلعة ، وإذا تطلعتنا الى أعلى لرأينا المدرجات
البديعة والمنشآت الجميلة ذوات المناظر الآسرة جدرانها مبنية بالحجارة الصفراء
والسوداء بالتبادل ، ومن أجل هذا سمي القصر الرئيسي بالقصر الأبلق ،
ويجاور هذا القصر ويبرز عن حائطه بين الحوش والأسطبل برج يحمل
كتابة تدل على أنه شيد في عام ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) على أيام محمد بن قلاوون
وإذا خلفنا باب السلسلة يبدأ الزائر في الصعود فيلوح على يساره بعض
المساكن . تحول عدة منها الى جامع حديث البناء يعرف اليوم بمسجد الملك
المؤيد — ونستمر في الصعود فنجد الى اليمين باب السر المخصص للسلطان
أو لمن يعرف كلمة السر — وكان الصلاطين يسهرون على العناية بمراقبة
هذا الأمير ، وقد قيل أن السلطان بيبرس جاء مرة متخفيا وكان الجميع
يعتقدون بغيابه في الشام فلم يفتح له الباب حتى فاه بكلمة السر "العلام" .
ويفضى هذا الباب الى شرفة كبيرة شيد عليها الابوان — المقعد الكبير
المخصص للاستقبال السلطانية

ثم نوالى الصعود لنلقى نظرة على مباني الطيلخانة التي تحولت أيام
بيبرس الى قاعة العدل للنظر في شؤون الرعية ، وإذا تركنا الطيلخانة

(١) اتخذ هذا المكان بعد عام ١٨٨٢ سكا للقائد البريطاني بالقلعة وقد أشارت بعض المراجع
التاريخية الى هذه الحراقة . ففي النجوم الزاهرة ذكر أبو المحاسن المقدم من الأسطبل السلطاني
المعروف بالحراقة كما ورد أيضا سكنه بالحراقة من باب السلسلة .

صعدنا بواسطة سلم كثير الدرج اسمه سلم المدرج له باب بنى فى أيام
بيبرس بمعرفة الأمير الدرفيل ولذلك عرف بهذا الاسم ويؤدى
هذا الباب الى سلم المدرج ، ومما يذكر أن السلطان برقوق شيد حائطاً
يربط هذا الباب بالمبانى المجاورة التى أشرنا إليها على يسارنا وهى محجوزة
بين أسوار القلعة العالية وهذا الحائط الذى شيده برقوق .

ونحن الى هنا لم نعبّر أسوار القلعة الأصلية ، ولم نتجول فى مبانيها الرئيسية
ولعل من الأهمية بمكان ، أن نذكر شيئاً قيننا بالإشادة ، وهو أن القلعة فى
ذيك العهد كانت تنطوى على ثلاثة نطاقات الأول (القسم) وهو
النطاق العسكرى المخصص للكنائز ذوات الأبراج والأسوار المنيعة ،
والثانى يشتمل على القصور والمسكن التى يشغلها السلطان ورجال الحاشية
والأشباع من عسكرين ومدنيين ، وهذان يعاون النطاق الثالث الذى فى
أسفلهما وتتألف مبانيه من الطبخانة والأسطبل السلطانى والمسكن التى
تعاقبت على أبصارنا .

ولنتسمل زيارتنا للنطاقين الأول والثانى .

فإذا صعد الزائر على سلم المدرج الذى يجازى الجدران لمسافة خمسين متراً
لقى نفسه داخل برج مربع يؤدى الى الداخل ثم يلف يمينه ليقى نفسه فى قلب
القلعة كما كانت عليه فى أيام صلاح الدين ، وهنا يتعين أن نتوقف بعض
الشيء لنقول إن الغرض من اتباع هذا النظام الهندسى فى بناء الباب الرئيسى
للقلعة هو عرقلة المهاجمين الذين يحاولون اختراق القلعة من ناحية هذا الباب
ولا يغرب عن البال أن القلعة لم تحاصر البتة ، ولم يقنصها عدو من هذا
الباب — الشيء الذى افضى الى إهمال استعماله على مر الأيام .

وهنا نقابلنا دابة نستدل منها على تاريخ إنشاء القلعة في عام (٥٧٩ هـ) (١١٨٣ م) هذا هو باب المدرج من إنشاء صلاح الدين ^(١).

(١) باب المدرج هو باب القلعة العمومي القديم الذي أنشأه صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣) وقد ورد في الخطط المقرزية (ج ١ ص ٢٠٤) باسم الباب المدرج ولا يزال موجودا ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذي كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود الباب الحديد الذي أنشأه محمد علي باشا الكبير في سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ - ٢٧) بجوار الباب القديم المذكور والباب الحالي يعرف بالباب الحديد أو الباب العمومي أو الباب البحري ونضيف على هذا ما جاء عن الباب المدرج في كتاب وصف مصر وخريطة القاهرة المصحقة به التي رسمها رجال الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠

كان الباب المذكور يعرف في ذلك الوقت بسباب مستحفظان وهم طائفة من عساكر الجيش العامل وظيفتهم المحافظة على البلاد والدفاع عنها وكان هذا الباب خاصا بهم . وكان يوجد باب آخر يقع غربي باب المدرج يسمى باب الانكشارية وهم طائفة من العساكر التركية أرسلتهم الدولة العثمانية لمحافظة على مصر . وكان هذا الباب خاصا بهم وكان يوجد خلف باب الانكشارية من الداخل باب آخر يسمى الباب الشرقي لأنه كان مشتركة بين المستحفظين والانكشارية يسمونه على السواء .

وفي ولاية محمد علي باشا الكبير على مصر جدد أكثر أبواب القلعة وأسوارها ومن ذلك أنه جدد باب الانكشارية في سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) وهذا الباب لا يزال موجودا ولكنه مسدود البناء مكانه غربي باب القلعة العمومي البحري تجاه باب الدفترخانة القديمة . ولما تبين لسموه أن باب المدرج وباب الانكشارية لا يصلحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل أنشأ رحمه الله في سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧ م) باب القلعة العمومي الحالي الذي يعرف بالبوابة العمومية أو الباب الحديد . وهد له طريقا منحدرة لتسهيل الوصول إلى القلعة والتزول منها تعرف اليوم بشارع الباب الحديد وهذا =

وإذ يصل الزائر إلى داخل النطاق العسكري في القلعة يلقى قبائله ميدانا فسيحا تحيط به المخازن والمساكن التي يشغلها المماليك وغيرهم . ويرى أمامه برجاً كبيراً منعزلاً باسمه برج القلعة الذي بناه بيبرس .

وإذا أراد الصعود فوق الحور لشاهد أمامه القاهرة بمساجدها وآذنها وقبابها التي شيدتها السلاطين والمماليك حديثاً ولراى أيضاً عن يمينه تلال المقطم التي أصبحت القلعة مفصولة عنها بعدما استبدلوا بأحجارها فاقطعوها من محاررها وأصبحت بذلك حصناً منيعاً لا يستطاع الاقتراب منه من ناحية الشرق .

وقد حاول محمد بن قلاوون أن يحول هذا المنخفض الصخري إلى بساتين وغابات لكن أهمل المشروع لما يتكبده من أموال ووقت وعناء .

وفي نهاية السور ، في النقطة الجنوبية الشرقية ، يقف برج يتنهن لديه سور صلاح الدين حيث باب القرافة الذي يطل على الصحراء . ويظهر

= "باب يحاوره من الشرق باب المدرج القديم ومن الغرب باب الانكشارية . وقد بطل استعمال هذين البابين من ذلك الوقت اكتفاء بالباب العمومي الحالي . ثم جدد أيضاً الباب الشرقي وهو الذي يل الباب العمومي من الداخل وهو بذاته باب السر الذي سماه ابن أبياس (ج) بدائع الزهور طبعة استانبول) باب السبع حدرات لأن الطريق الذي يلمنه وبين باب العزب أرضها منعقدة وكان بها قديماً سبع حدرات يفصل بين الحدة والأخرى درجة من الحجر وهذا الباب يعرف اليوم بالبوابة الوسطانية ويدخل منها إلى الحوش الذي فيه جامع محمد علي وجامع النصر محمد بن قلاوون والبوابة الداخلية بالقلعة (١) .

وباب السر المذكور أعلاه كان لأكابر الأمراء وخوفا الدولة كالوزير وكام السر ونحوهما ويتوصل إليه من الصوة وهي بقية ما بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة وكان يقع مقابل الايوان الكبير الذي يجلس فيه السلطان أيام المواكب وكان يغرق ولا يفتح إلا لمن يستحق الدخول والخروج منه ثم يغرق وهذا الباب هو الذي يعرف اليوم بالباب الوسطاني .

(١) [تطبيق الأستاذ محمد بك رمزي بالنجوم الزاهرة ج ٨/٩]

أن هذا الباب كان قليل النفع ، ويحتمل أنه بنى فى الأصل لىؤدى غرضا واحدا هو ليكون منفذا لحماية القلعة للهروب منه إذا هوجمت القلعة وضيق الحصار على المدافعين .

وتصميم بناء هذا الباب هادى وليس على نمط بناء باب سارية ولكى بكل الزائر زيارته عائدا الى باب ساريه . ينبغى عليه أن يمر بباب القلعة الذى سمي باسم البرج السابق ذكره . وهذا الباب يصل بين النطاقين النطاق المسكرى والنطاق السلطانى .

وهذا الأخير يحتوى على مساكن كبار الموظفين فى الدولة ككاتب السلطان والوزير (الصاحب) وغيرهما .

ومن باب القاعة يخرج الأجناد والمماليك الى النطاق السلطانى للعرض المسكرى وللإشتراك فى المواكب والحفلات والأعياد ولأحداث الكبرى أو الخروج للجهاد . وان كانوا يخرجون لتنفيذ مؤامرة لانزال السلطان عن عرشه أو أحداث شغب .

والمنشآت التى يحتوى عليها النطاق السلطانى تدل دلالة واضحة على ابهة الحكم فى جهود السلاطين المماليك — ولا سيما فى أيام محمد بن قلاوون . ويواجه باب القلعة الجامع الذى بناه هذا السلطان بمئذنتيه الرشيقيتين المكسوتين بالقاشانى الأخضر المنقوش بالخطابة الحسنة . ويقع جنوب شرقى الجامع بئر يوسف .

ويتصل الجامع بقصر السلطان من ناحيته الجنوبية ، أما الواجهة الغربية فتطل على الميدان الكبير للايوان ، هذا الايوان الذى يمتاز بمقدمه الكبير الذى تغطيه قبة يكسوها الخرف الموه الأخضر وتحمل القبة العهد العالية ، وقد قيل إن منشئ هذا الايوان الأصلى كان الملك الكامل ابن شقيق صلاح الدين . بناه على طراز الايوانات الفاطمية ثم جدد قلاوون وابنه فيما بعد . ويلاحظ أن هناك شها كبيرا بين طراز عمارتى الجامع والايوان .

راجع وصف الايوان فى الصفحات السابقة

وقبالة الجامع والايوان وباب القلعة ميدان فسيح يحشد فيه الجند ورجال الحاشية والأتباع في ملابسهم الفضفاضة وعليها أساحتهم البيضاء ودرقاتهم المستديرة .

ولم يك هناك في هذا المكان شيء يحجب هذه المنشآت عن المدينة ، فكلها عالية شيدت على روية تتألف من أرضفة تعلو فوق بعضها . وكانت القصور تكشف الى مسافة بعيدة من النيل والأهرام .

والقصر الأبلق أول ما يلتفت الأنظار بين تلك المنشآت . في ركنه برج هائل اسمه الخرجاء ، تتصل به عدة قاعات تفضي الى قصر آخر مقام على نفس العراز ، وكانت تستند جدرانها على الصخر وإلى أسفلها الاسطبلات بمحاذاة السور الطبيعي للقلعة . وكان هناك درج له أبواب يستعمله السلطان في النزول إلى الاسطبل بدون أن يراه أحد .

أما الزاوية الجنوبية الغربية عن القلعة فكان يشغلها قصر الاستقبالات ومن بعده إلى الشرق يمر الزائر إلى قصر الحريم السلطاني وكان ملحقا به مباني كثيرة يشغلها الحشم والخدم . وقد امتدت إلى الزاوية الشرقية للقلعة . وكان يتصل الحريم بالقصر بوساطة باب النحاس ، كما يتصل أيضا بالجامع بوساطة باب الستارة ، وقد أقيمت على جانبي القصر القاعات الضخمة التي شيد منها محمد بن قلاوون سبعة . وقد عرفت بالسبع قاعات أو (السبع حדרات) وإحداها عرفت بقاعة الفضة . ثم شيد فيما بعد السلطان حسن بن قلاوون بالقرب منها قاعة اليسرية . وكانت تتوسط تلك القاعات وتحيط تلك القصور الحداثق الغناء التي تغذيها مياه النيل .

وقد كان في وسع السلطان إذا أراد أن يتخذ الدرج الخاص في قصره ويهبط إلى الاسطبلات ثم يخرج من باب السلسلة فالميدان .

وهذا ما يستطيع أن يشاهده الزائر بعد انتهاء جولته في النطاق السلطانية ولم يبق إلا دار الضيافة المجاورة للقلعة حيث كان ينزل فيها الملوك الأجانب وسفرائهم ، وكانت تلاصق الباب الرئيسي للقلعة وتجاور الطبلخانة التي سبق الحديث عنها ...

القلعة في أيام العثمانيين

١٥١٧ - ١٧٩٨

حين تلاشت مقاومة المصريين للجيش العثماني ، وطفق العدو يسطر جناحه على ربوع القاهرة ، نودي في حى الصليبية وقاطر السباع بأن يخل الأهالى بيوتهم نظرا لأن السلطان سيقصد القلعة للاقامة فيها . فداع الناس الأمر واحتل العثمانيون دورهم في الحال .

وبعد أيام ، صعد السلطان سليم إلى القلعة في موكب نفخ وحواله جنده . وما انفك أن احتجب عن أنظار الناس ، ولم يجلس على التكة كما جرت العادة من قبل . ومنذ ذلك اليوم أهملت القلعة إهملا شائنا ...

فقد ربطت المياد في الحوش لدى الايوان الكبير وباب الجامع ، وصار روث الخيل أكواما متناثرة على الأرض . وبدأ ديب الخراب يتجول في دورها وينش محاسنها . وامتدت الأيدي تنزع رخامها وحليها وتقتنص ما تضمته أحشائها من نفوش وتحف ...

فجردت قاعاتا اليبسرية والذهيشة والقصر الكبير وما إليها من الأاكن الهامة من بدع رخامها وطرائف زيتها ، وافقر الايوان الكبير إلى أجل عمده المسلوكة ... لا لشيء إلا لأن السلطان — غفر له الله — شامت له هويته وإعجابه أن يشحنها إلى استانبول ، داصمة ملكه ، التي اجتفى أن يجمع عليها زينة وأبهة من أنقاض القلعة خاصة والفاخرة عامة ...

وبالت الأمر قد قصر على فك نفأس القلعة وتقلها ، بل تهادى أيضا إلى القصور والمساجد ، بل واستباح حرمت الدور ... دور الناس الآمن . فكان وإلى الناهرة وهو على رأس جماعة وهم يجمعون على البيوت

يشبه بعصابات الصمصص ، ينزعون منها الرخام والطرائف ، رضى أصحاب البيوت أو لم يرضوا . وفي الوقت الذى كان هؤلاء يجردون فى أعمال النهب والتخريب كان كبار العثمانيين يستلمون الكتب الثمينة من المدرسة المحمدية والمؤيدية والصرغتمية وغيرها من مدارس القاهرة

ويقضى الأمر بالسلطان — فى سبيل تحقيق أمانيه — بترحيل عدد كبير من أصحاب الصناعات والحرف المصريين ، إلى استانبول . وبذا حرم مصر من أعمالهم الجميلة التى ازدهرت بها القاهرة خلال أيام المماليك . وقيل أن السلطان أرسل بدلا منهم عددا من الصناع الأتراك .

وشرع السلطان سليم فى مبارحة مصر ، عقب أن استطاعت أقامته بها ثمانية أشهر إلا أياما قلائل ، كان يتردد أبانها بين القلعة وجزيرة الروضة بل وقضى معظمها بالمقياس ، دون أن يحاول البتة الجلوس على سرير الملك بالقلعة .

وزال فى اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ هـ (١١ سبتمبر ١٥١٧ م) بليت ابن السلطان قايتباى ، ومصر بالقلعة فى موكب زاهر بالعظمة يسبقه ملك الأمراء خير بك . ولم يخترق الموكب قلب القاهرة بل فضل السلطان السير فى خارجها .

وسلم مقاليد الحكم الى الأمير خير بك الذى خان سيده السلطان النورى وانضم الى العثمانيين . وما أن تسلم الزمام حتى صعد الى القلعة فى موكب نفخ محترقا الصليبية بالفجر . وتستولى عليه الرغبة المنة فى إصلاح مبانيها . فيرسل فى طلب البنائين والفجارين والمبطين ليصلحوا ما أفسده العثمانيون .

دأب خير بك على إصلاح القلعة بنما كان العثمانيون دائي السطو على دور الأزبكية فيزعون أبوابها وسقوفها ونوافذها ويحملونها على الجمال ليعملها فى الأسواق بأجنس الأثمان . بل أكثر من ذلك كان جنودهم ينزعون أخشاب طماق القلعة ويستخدمونها فى أيقاد النار لطهى الطعام .

وكان الأمير خير بك قد أمر قائد جنود الأنكشارية بالصعود بهم إلى القلعة واحضار مكاحلهم وبنادقهم معهم . فلما وصلوا إلى ثكناتهم أمروا بادخال تلك المكاحل والأسلحة في الزردخانه ، كما أمرهم بالإقامة في طباق القلعة والا يتزلوا اطلاقا إلى الميدان .

وفي يوم ٢٧ ذى القعدة عام ٩٢٦ هـ (٢٠ ديسمبر ١٥٢٠) أخذ خير بك مفاتيح الأمكنة التي في القلعة وسلمها لجماعة من الأتراك وطرده البوايين والغلمان كما أبطل الطهارة وأقام جماعة من الترك عوضهم ، وأبطل المقرئين الذين كانوا يتلون في القلعة والمؤذنين كذلك .

رأينا الجنود الأنكشارية (١) تحي القسم الشمالي من القلعة خلفا للمالك وبعد زمن شغل طائفة العزب القسم الجنوبي منها . إلا أن هذا التجاور كان مدعاة لأن ينشب الشجار بين جنود الطائفتين مرارا في القلعة ويقتول منها إلى أحياء المدينة القريبة فيسود الحرج والمرج عدة أيام .

وظلت الطائفتان تضطمان بأعمال الحامية التركية إلى جانب السلب والنهب والاعتداء ، حتى وصلت الحملة الفرنسية إلى وادي النيل .

وكانت المباني الملحقة بالقسم السفلي من القلعة والمجاورة لباب السلسلة مخصصة لرجال العزب ، أما المباني الأخرى التي تنهض على امتداد الميدان فكانت مقر الباشا (الوالي) — ولم يكن هذا القصر على شيء من الفخامة

فقد وصفه دومايه بقوله : (أن القاعة التي يعتد فيها الباشوات مجتمعاتهم — طويلة ووسيمة . بيد أنها خالية من الزينة . علفت على جدرانها سبعة تروس سمكية من خشب الساج قيل أن السلطان سليم — وكان قويا مجيدا للرمية — أصاب الترس واخترق سهمها في مرة واحدة وقد كان معروفا أن السلطان أرسل هذه التروس والرمح ليظهر للصريين مدى قوته .

(١) وقد سمي باسمهم عند الأنكشارية وهو الاسم الذي أطلقه الفرنسيون عليه .

مسجد السارية (سليمان باشا)

يقال أنه كان في موضعه جامع قسطة . شيد في الأصل للجنود الأنكشارية ، الذين أمروا بعدم مبارحة القلعة ، حتى لا يصطدموا بطائفة العزب في القسم الأسفل من القلعة . بينما كان مسجد ابن قلاون قد تهدمت أركانه ، وأهمات أحواله ، وصار لا يصلح لإقامة الصلاة فيه

وكان هذا المسجد الذي أنشأه بالقلعة الوالى سليمان باشا عام ٩٣٥ هـ (١٥٢٨ م) على طراز مساجد الاستانة . استنبط طرازه من بعض الكنائس البيزنطية — تعلو قبة كبيرة مكسوة بالقاشانى . قبابها صحن كبير مكشوف تحيط به أروقة ذوات قباب صغيرة كسيت بالقاشانى أيضا .

وفي داخل المسجد كتابة تاريخية عن إنشاء هذا الجامع نصها :

قد بنى وعمر الجنا ب العالى مملوك سلطان السلاطين سليمان سلطان بن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته الى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصريين سليمان باشا اللهم أجعله من الفائزين مسجدا لوجه الله المعين طلبا لمرضاة رب العالمين يعبدوا فيه عبادة الله وكان تاريخه فاركموا الله مع الراكعين (وحساب هذه العبارة بالنقط عام ١٩٣٥ هـ) .

مسجد أحمد كنفخدة

وقد شيد مسجد آخر بالقلعة في العهد العثمانى ، وقد بناه الوالى أحمد كنفخدة (١١٠٩ هـ — ١٦٩٨ م) ، وعلى أحد جدره كتابة باللغة التركية يستدل منها على اسم منشئه وتاريخ انشاء المسجد وقد بن على خريطة القاهرة التى وضمها رجال الحملة الفرنسية فى عام ١٧٩٨ باسم مسجد العزب .

الوالى اسماعيل باشا التركى

وقد ذكر المؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتى وأيده دوماييه قنصل فرنسا فى مصر أن الوالى اسماعيل باشا التركى (١١١١ هـ - ١١١٦ هـ) نهض باصلاحات شتى فى مباني القلعة لاسيما فى زاويتها الجنوبية الغربية حيث سكن الباشوات وكذلك رمم قاعة الفورى التى بالبستان . وبنى صهريجاً بداخل القلعة وأنشأ الحمام البديع بقره ميدان ونقل إلى القلعة حوض رخام كان قطعة واحدة أنزلوه من السبع حدوات .

رضوان كنتخد الجلفى

ثم يحىء دور رضوان كنتخد الجلفى ، أحد زعماء البكرات فى القاهرة - الذى يتعلب على منافسيه من زعماء الأحزاب الكثيرة التى عرقها القاهرة فى ذيك العهد ويتحد مع ابراهيم بك ، وبدورهما يضعان أيديهما مع الوالى "قبور أحمد" فازالوا من طريقهم جميع المنافسين بمؤامراتهم .

وتخلصت القاهرة من مكائد الأحزاب وأنانية رجالها ، وأصبحت تحت رحمة اثنين من الأسراء الأقوياء . وسرى ماتم فى القاهرة من الأحداث فى أيامهما لأنها تعطى صورة لهذه العاصمة .

كان لكل من هذين الأميرين متجه يهدف اليه فى رياسته ، فكان ابراهيم صاحب السلطان وقائد الجيوش ومدير السياسة ، على حين كان رضوان مؤلف القلوب وقبلة القمصان . وكان الأمران على اختلاف اتجاهيهما متفقين متآلفين فقضيا فى رياستهما سبع سنين ونيفا .

فعلى ضفة الخليج المصرى ابتاع رضوان داراً أصلها بهت الناجر الغنى الشرايى ، وهى التى كان بها العمودان المعروفة (بثلاثة ولىة) كانت واحة على بركة لأزبكية . وموضعها اليوم مايلى حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا . وكانت تلك البركة آنذاك منزها من متزهات القاهرة المحبوبة تحيط بها

بيوت أعيان التجار والأمرء فلما اشتراها الأمير رضوان بالغ في زخرفتها
وعقد على قاعاتها العالية قبابا عجبية الصنعة منقشة بالذهب المحلول والازورد
والزجاج الملون . وكانت الأنوار تسطع في هذه القباب أشاء الليل فيكاد
يخطف بهاؤها ورواؤها الأبصار . وكان للأمر فوق ذلك من الناحية
الشمالية الغربية من هذه البركة منظره بديمة تطل من الغرب على الخليج
الناصرى ومن الجنوب على بركة الأزبكية ومن الشمال على بركة أخرى
استحدثها الأمير بتوسيع مجرى الماء في الخليج بالقاهرة تمايل فتنطرد الدكة
وأشأ في صدر البركة مجلسا خارجا بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه
داخل الغيط المعروف بغيط المعديّة وبوسطه بحيرة تملأ بالماء من أملا
ويخصب منها إلى الحوض من أسفل ويجرى إلى البستان لسقي الأشجار وأبنى قصرا
آخر بداخل البستان مطلقا على الخليج فكان يتنقل في تلك القصور التي نسبة لها
ابدىع تديق وقصارى القول أن قصور رضوان كانت تتألق دراما بالأنوار
الساطعة ويحلم عليها الفن المصرى آيات الروعة والابداع ، وتجتمع في أبنائها
هلمات العصر من الأدباء والعلماء فلا غرو أن اقتن الشعراء في مدح رضوان وفي
العمل على الاتصال به من هؤلاء عبد الله بن سلامة المعروف بالادكاوى نسبة
إلى بلدته إلى ولد فيها (ادكو) ومعه طفي اللقيسى والسيد السنيدي وقاسم الونسي
وغيرهم . فمد امتدحه هؤلاء جميعا وأشأوا فيه المقامات والنوشجات ورأى أيضا
الادكاوى يجمع كل ما قاله الشعراء في هذا الأمير ويتخذ منه مجموعة يسميها
(الفوائح الخنانية في المدائح الرضوانية) ولا يكاد يوجد شاعر في ذلك العصر
لم يتصل بالأمير رضوان إلا أن رضوانا قد أضله ما هو فيه من نعمة فترك
أمر البلاد واتبع طريق الشهوات وجاهر بالمعاصى وقد أروى الجربى
بأنه أصدر أوامره لرجال الأمن بعدم التعرض لأهل المجون فصار القاهرة
مياذير للفرلان ونعيا للعشاق .

ظل الأميران يقضيان على دفعة الحكم في البلاد ، حتى أنعم الأمير ابراهيم برتبة
البكوية على أحد رجاله ، فشق ذلك على ابراهيم بك الشركسى ، ونمت بينهما
الضغائن حتى قتله بيده فأصبح الأمير رضوان شيخ البلد وحده إلى أن ظهر
شان سيد الرحمن كتحدا الانكشارية فاخذ بعضد ممالك الأمير وبقومهم

على أسراء رضوان وتأمروا على اغتيال الأمير رضوان والقضاء على سلطته
فتنبه هذا الأخير لذلك واستولى على القلعة وبعض أبواب أحياء القاهرة وجامع
المحمودية وجامع السلطان حسن واجتمع إليه أغلب أمرائه وكادت تم له
الغلبة لولا أن سعى إليه الأمير عبد الرحمن كتحدا وأعوانه لإجراء الصالح
وطلع بهم إلى الأمير رضوان وخدعوه بكلامهم فحسنت نيته وسلم بنصرتهم

وعقب أن نزل إلى داره من "قوصون" اغتم أعداؤه الفرصة وابتوا
أمرهم ليلا ، واستولوا على القلعة وبعض الأبواب ، بينما كان رضوان آمنا
في بيته ، فلم يشعر إلا وهم يطلقون عليه المرافع . وكان الحلاق يحاق له رأسه
فسقطت الجمل على داره فأمر بالاستعداد ، وطلب من يعتمد عليهم فلم يجد
أحدا منهم يقف بجانبه فخارب فيهم إلى قرب الظهيرة حتى أصيب في ساقه
برصاصة من مملوكه الصغير (صالح) الذي لاذ بخصومه . ولما أصيب
رضوان طلب الخيل وخرج من ثقب في جدار بستانه ، وانسل قاصدا
الهساين فلم يتبعه أحد ونهبوا داره . ثم التجأ إلى قرية الشيخ عثمان بالصعيد
حيث مات بشرق أولاد يحيى ودفن فيها عام ١٧٥٤

وعمر رضوان بك باب القلعة بالرميلة ، وهو الباب المعروف بباب
العزب (١) وعمل حوله هاتين البنتين العظيمتين الباقيتين والزلافة التي كانت
موجودة إلى أواخر أيام محمد علي .

الوالى محمد يحيى باشا

(١٧٠٠ هـ - ١٧٨٥ م)

وكانت القلعة ، في ذياك العهد ، شبيهة المدينة المستقلة ، تتمتع
بعزلتها — لها مساجدها وميادينها وبيوتها وحمامتها ومقابرها . فيها بيت
المال ومسكن الباشا وفرقة جنود الانكشارية .

(١) هو باب السلسلة قديما .

ولما كانت الحامية العسكرية العثمانية تتصل في هذا العهد بالقلعة أو تنق اتصال لاسكن أفرادها في نكتاتها مع اتباعهم ، وكان لجبار ضباطها كلمة مسموعة في حكم البلاد ، فقد رأينا أن نفرد عدة صفحات للكلام عن هذه الحامية .

الحامية العثمانية والأوجاقات السبعة (١)

كانت مهمة الحامية العثمانية بمصر الدفاع عنها والاشتراك في حروب السلطان . وكذلك كانت لها اختصاصات أخرى غير حربية . فهي تساعد الباشا والصناجق (حكام المحافظات والأقاليم من الأتراك والأمرأء المصريين) في توطيد الحكم العثماني في مصر . وفي الوقت نفسه تراقب الباشا والصناجق وتوازن صلاحتهم . وكان رؤساء الحامية يحضرون اجتماعات ديوان القاهرة . وهم كهيئة رسمية لهم كلمة مسموعة في إدارة البلاد . ويتضح ذلك فيما كانوا يقدمونه من المطالب إلى الباشا إذا ما أحسوا منه خروجاً على العرف القديم . وكلما فكروا في استحداث قاعدة جديدة يدلون بها نصوص قانون صاين . وكذلك كان رجال الحامية العثمانية يشتركون في صيانة الأمن في القاهرة . ويساهمون في حكم الأقاليم وفي جميع الأموال الأميرية .

والحامية العثمانية في مصر اشتملت على عناصر مختلفة . فهي كانت تضم اخلاطاً من العسكر . من العثمانيين والمماليك والعرب والشوام والمغاربة . وبالتدريج أخذ عنصر المماليك في الحامية يقوى على حساب العنصر

(١) المجلد في التاريخ المصري - تأليف بعض هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة فؤاد

العثماني . وكان عدد الحامية يتراوح بين ١٢ ألفا و ١٥ ألفا (١) وكانت مقسمة إلى سبعة أوجاق (فرقة من الجند) وهي :

المتفرقة — والجواهران والكوكلويان والتفكجيان والجواهر كسة والمستحفظان أو يكشيجريان والعريان . وكان لكل أوجاق اغا أي رئيس وكشخذا . وباش اختيار أي رئيس القدمة فيه . وجماعة الاختيارية . والجوريجية أي الضباط . وكاتب يمثل الأوجاق في ديوان الروزنامة لكي يساعد في صرف مرتبات الأوجاق . ولعرض بشئ من الايجاز لهذه الأوجاقات كل على حدة .

١ — أوجاق متفرقة (٢) : أهم أعمال هذا الأوجاق حفظ القلاع التي تحيط بمصر مثل قلاع الإسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور وأسوان وأبريم . ولكل من هذه القلاع طوائف من المتفرقة المشاة والفرسان والطوبجية مع جماعة الطبالين . ونافخ البورى والمعمارين والنجارين . ويشرف هذا الأوجاق أيضا على "تشهيل القوافل" ونقل الغلال ومخالف البضائع والمهمات بين الصعيد والقاهرة والسويس ويتولى هذا العمل "قافلة باشي" أي رئيس القافلة . وكذلك يعنى أوجاق المتفرقة بجمع البارود اللازم لشؤون الدفاع عن مصر الذي يرسل جانب منه إلى السلطان .

٢ — أوجاق جاوشان (جمع جاويشية) : كان العمل الرئيسي لهذا الأوجاق تحصيل الأموال الأميرية من الملتزمين وتوريدها إلى خزانة الروزنامة ومن واجبه أيضا الإشراف على شئون الغلال الأميرية . وكان المحتسب

(١) مثال لعدد وحدات الحامية العثمانية في مصر في سنة ١٠٧٤ هـ (١٦٦٤ م) ويوضح أهمية أوجاق مستحفظان ٣٢٦٥ متفرقة — ١٢٦٩ جاوشان — ١١٥٤ كوكلوويان — ٩٠٧ تفكجيان — ٨٣٣ جراكسة — ٨٩٩ مستحفظان — ١٣٥٦ عريان — مجموعها ١٣٦٧٣

(٢) متفرقة في الأصل التركي تدل على أنهم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعيات .

في العهد العثماني من رجال الجاوشان . وتلخص اختصاصاته في الإشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكاييل وتسعير المواد التجارية وضبط الأمن .

٣ — أوقاجات كوكالويان وتفتكجان وجراكسة^(١) كانت هذه الأوجاقات من فرقة الاسباهية أي الفرسان ، ويشرف كبارؤها على الباشا ومنهم أغلب رجال الضبط وهم يشرفون أيضا على حكم الأقاليم عن طريق من يقيم بها من رجال هذه الأوجاقات من الجورججية والمتولية^(٢) وحكام الأقاليم لم يكونوا يتبنون في أمر إلا بعد مشورتهم ، وكان الباشا ينص عليهم في كل فرمان يصدره متعلقا بحكم الأقاليم ، ومن أعمالهم أيضا المحافظة على الجسور ومساعدة المزارعين في تحصيل الأموال من الفلاحين .

٤ — أوجاق مستحفظان^(٣) : وهؤلاء هم الانكشارية ، وكانوا أقوى الأوجاقات وأكثرها عددا ، وعرفوا بأوجاق السلطان ومهمتهم مساعدة الباشا في تنفيذ أوامر السلطان . كما كانت لهم رقابة عليه ، ومنهم طائفة من كبار أصحاب المناصب مثل كتخدا الباشا في بعض الأحيان ، وأغا الانكشارية الذي كانت له الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة .

وكذلك سردار الحج (أي قائد القوة العسكرية المرافقة للحجاج) وسردار الخزينة (قائد القوة المرافقة للخرزينة المرسله للسلطان) .

(١) كوكالويان أي المنطوعون وتفتكجان أي حملة البنادق وجراكسة هم المساليك الذين طلبوا الى السلطان سليمان الانخراط في سلك الحماية العثمانية .

(٢) الجورججي أي الحائز لرتبة عسكرية تعادل اليوزباشي وتأتي بمعنى الكبير من رجال الحفظ في الأرياف أو عين من أعيان النصارى في الأرياف ، والمتولية أي الذين يتولون الإشراف على الأمن في الأقاليم .

(٣) مستحفظان أي رجال الحفظ ويسمون بكيجريان أي المعسكر الجديد .

٥ — أوجاق عزبان (رجال البحرية من حملة البنادق) : كان لرجال هذا الأوجاق مدة اختصاصات ، فمنهم بحارة تسمانة الاسكندرية والسويس . وكان من رجاله أمين البحرين ، وهو المشرف على ساحل بولاق ومصر القديمة ، فيما يتلاق بالسفن والضرائب المفروضة على الغلال الواردة على هذين الساحلين ، وكذلك كانت لهم اختصاصات بوليسية فتألف منهم مراكر البوليس بالقاهرة ، ويشرفون أيضا على الملاهي والبهلاوانات والحواة والبغايا .

ولم تتعرض مصر طوال العهد العثماني حتى قدوم الحملة الفرنسية لخطر الاعتداء من الخارج ، وليس معنى ذلك أن قوات الحامية العثمانية ظلت راكدة ، ولم تشترك في أية حروب في أثناء هذه القرون ، فالجيش العثماني المملوكي اشترك في حروب السلطان في أوقات وفي ميادين مختلفة ، فمثلا عند ما هاجم الصدر الأعظم أحمد كوبريلى جزيرة كريت اشتركت الحامية العثمانية المصرية في هذه الحروب ، وأرسلت قوة من ألفى جندى .

وانتهى ذلك الهجوم بانتصار العثمانيين وابتزاع كريت من أيدي البنادقة في سنة ١٦٦٩ وفي أثناء الحروب الطويلة بين الدولة العثمانية والنمسا في النصف الثاني من القرن السابع عشر اشترك الجند الثماني المصري في هذه الحروب في أكثر من ميدان . فأرسلت على دفعات قوات إلى وودس وأدرنة والقسطنطينية وسالونيك وبلغراد ، وفي الحرب الروسية التركية التي وقعت في عهد كترين الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر اشتركت فرق من الجند العثماني المملوكي في هذه الحرب ووصلت حتى رومانيا

القلعة في أيام الفرنسيين

١٧٩٨ - ١٨٠١

هزم الفرنسيون في معركة (أبو قير) الحربية ، ولكنهم انتصروا على المماليك في معركة (امبابة) . ودخل نابليون القاهرة في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٧٩٨ ، وجعل مقر رئاسة الجيش العامة في قصر محمد الألفي بخط الساكت (فندق شبرد اليوم) .

وفي السابع والعشرين من سبتمبر في العام ذاته ، أمر الفرنسيون أهل القلعة بمبارحة منازلهم والنزول الى المدينة للسكن فيها ، واصعدوا الى القلعة مدافع ركزها بعدة مواضع ، وهدموا بنية كثيرة ، وشرعوا في بناء جدران وكرائث وأسوار وقوضوا بنية عالية . واءلوا مواضع منخفضة وغير مواضع القلعة وأبدلوا محاسنها ونحوها ما كان بها من معالم السلاطين واثار الحكماء والعظماء وما كان في الأبواب النظام من الأسلحة والدروع والبلط والحراب الحديدية وهدموا قصر صلاح الدين .

هذا ما نقله عن مؤرخ هذه الحقبة . عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله .

ثم نراه يقرر - فيما بعد - ان مبانى القلعة قد ضاقت بسكانها مما جعل احد الفرنسيين ينقل مكنه الى جامع السارية بعد ما نقلوه اليها من العتاد والغلال والذخائر لأحطاب مع ما هدموه من أماكنها وسووا أبواب الميدان واقتصروا على باب السبع حذرات في النزول والطلوع الى الميدان المذكور .

واخيرا حينما يسوء حال الفرنسيين في مصر بعد هزيمتهم قبالة الإنجليز في معركة كانوب (الإسكندرية) التي دارت في ٢١ مارس ١٨٠١ يعقد مجلس حربي بتمشية الجبل بليلار في القلعة ويقوم بينهم شارحا . وقف الجيش الفرنسي وكان ميالا الى التسليم فيعارضه بعض أعضاء المجلس .

وتنتهى المفاوضات بين ممثل الإنجليز والفرنسيين بالاتفاق على جلاء الجيش الفرنسى عن القاهرة وقلاعها وقلاع بولاق والجيزة وعن جميع الجهات التى تحتلها القوات الفرنسية فى مصر. وحدد للجلاء عن القاهرة وبولاق اثنا عشر يوما على أن يتم الجلاء فى أقرب وقت بحيث لا يزيد عن خمسين يوما بعد يوم التصديق على الاتفاق.

أخلى الفرنسيون قلعة الجبل وبنى الحصون وانتقلوا إلى الروضة وقصر العيني والجيزة استعدادا للرحيل من رشيد ودخلت الحود العثمانيون القاهرة فى ١٤ يوليو ١٨٠١.

ثم أخلى الفرنسيون قصر العيني والروضة والجيزة وأقلعت سفنهم إلى رشيد. وبذلك تم جلاؤهم عن القاهرة وضواحيها وأخذوا معهم رفات الجبال كليب. وساروا من رشيد إلى أبي قير وأبحرت بهم السفن فى أوائل أغسطس عام ١٨٠١ إلى فرنسا ثم وقع الجبال مينو اتفاقية الجلاء النهائى عن وادى النيل يوم ٣١ أغسطس وبجلاء الفرنسيين بعد احتلال ثلاثة أعوام وشهرين طويت صحيفة احتلالهم وبدأت تتنازع السلطة فى مصر ثلاث قوات الاتراك والانجليز والمماليك. وظهرت قوة رابعة على مسرح النضال السياسى وهو الشعب المصرى.

*
* *

بدأت القلعة المحيطة التى وصفت إلى ذروة المجد فى أثناء حكم السلاطين المماليك — تفقد بالتدريج مكانتها الرفيعة نتيجة لإهمال حكامها من الولاة الأتراك الذين كانوا لا يستقرون بالبلاد مدة حتى تصلهم أوامر الباب العالى بالعودة أو بتقليد ولاية أخرى أو ربما فصل الرأس، ولم يكدينتهى القرن السادس عشر حتى آلت أكثر مذنشات قلعة الجبل إلى أحضان الخراب. ولما زار الرحالة سافارى (Savary) القلعة فى خلال القرن الثامن عشر (١٧٧٧ — ١٧٧٩) قال عنها :

”إنها لا تتألف إلا من مجموعة خرائب وأنقاض تلوح عليها علامات الحزن، ولم يبق منها سوى بعض أركان قليلة صالحة للسكنى“.

ومما يذكر أنه كان يقام بالقاهرة ، أبان الحكم التركي ، المهرجانات الرسمية لاستقبال الولاة ، أو حفلات الأعياد النومية والدينية كغرة شهر رمضان والمولد النبوى ووفاء النيل .

وفى أول المحرم عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٥) وصل محمد باشا يكن الوالى الجديد ، وقد تهيأ له فى الفترة القصيرة التى قضاهها فى مصر أن يعمر قصرًا ويترك أثرًا يتحدث عن عمارته ... فعلى مقربة من باب الجبل الى داخل الحائط تقرأ كتابة باللغة التركية يستدل منها على بنائه قصرًا فى الجهة الجنوبية الشرقية من القاهرة . وقد أطلق على هذا الجزء كلمة (ممرى) لدى وصول الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) .

وخير وصف لحال القلعة ، حينما وصل اليها الفرنسيون وصعدوا اليها واتخذوها قاعدة لعملياتهم فى القاهرة ما نوره بعد^(١) .

تنقسم قلعة القاهرة إلى قسمين : القسم الأعلى حيث يقيم جنود الانكشارية على ارتفاع مائة متر تقريبًا من سطح النيل ، والقسم الأسفل حيث يقيم جنود العرب ، ويفصلهما عن بعض سور . وفى داخل القسم العلوى سور صغير يلف حول برج صغير اسمه خزنة القلعة وبرج الانكشارية أقوى أبراج القلعة . أما بئر يوسف فيوجد فى جهة أخرى خلف القسم العلوى ، كما أن هناك سورًا آخر يطلق عليه سور الأغا .

ثم قبض الله لمصر المغفور له محمد على باشا محي مصر الحديثة فطفق يرفع مكاتها ويتبوأ وادى النيل مكانته بين أمم العالم .

(1) Le Description de l'Egypte Vol. XVIII, denzième partie. page 282-283.

القلعة في أيام محمد علي الكبير وخلفائه

١٨٠٥ - ١٩٣٦

مرت أعوام أربعة ، بين جلاء الفرنسيين وتولية محمد علي باشا على مصر ، لم تنعم البلاد في خلالها باستتباب الأمن وأسباب السلام

ولكن ما أن ترع في دست ولاية الحكم هذا المصلح العظيم ، حتى تنفست القاهرة الصعداء . فقد انجاب عن صدرها نظام سيء من الحكم وتلاشت اوزار بالية من المظالم . واستقبلت عهدا جديدا هو بمثابة إشراقه من النور ، شعرت فيه بمسببات الطمانينة تقضى على القلق ، ودواعي العمل يحو التواكل ، ومقتضيات النظام تطحن على الفوضى ...

وتمهل القدر ليسجل على وجه الزمن نهار يوم ٩ يولييه عام ١٨٠٥ (١١ ربيع الثاني ١٢٢٠ هـ) يوما خالدا في تاريخ مصر ، واستهلالا رائعا في صفحاتها النواصع . فقد طالع السيد عمر مكرم الزعيم المصري يقصد دار محمد علي باشا ، في جمع كبير من الأهالي والهند بل ومختلف الطوائف ويبايعونه بالولاية لأول مرة في تاريخ وادي النيل ، فلا يجد الرجل العظيم إلا أن ينزل لدى إرادة الشعب ، ويستجيب لرغباته الجياشة .

وتتوالى الأحداث سريعا ، فتحاصر القلعة ، ويدعن الوالي خورشيد باشا لما آل إليه أمره ، ويضطر لتسليمها صاغرا ، في يوم الاثنين ٥ اغسطس سنة ١٨٠٥ (٩ جمادى الأولى سنة ١٢٢٠ هـ) ، وينزل الوالي حريمه واتباعه وجنوده في اليوم التالي من باب الجبل إلى باب النصر فبولاق . ويتقدم محمد علي باشا وبصحبته بعض الزعماء ويشدون على يديه مودعين ، على ظهر السفينة التي ألقاه إلى الاسكندرية ..

ويخلو الجو ، ويصبح محمد على سيد مصر ، ويرنو إلى أفق المستقبل بعين ملؤها الأمل والثقة . ويبدأ في تنفيذ خطته الكبيرة . خطة الإصلاح والتظيم والبناء ..

وتشاء الظروف أن ينتقل محمد على إلى القلعة ويتخذها مقعلا له ومقرا . حين شبت في القاهرة فتنة الجند الارناءود . ومعد ذلك اليوم ، بدأ النشاط يسرى في كل ركن من أركانها ، وبدأت الحركة تشيع في كل منجى من مناحيها ..

إن أعمال محمد على في قلعة الجبل ، كانت فاتحة برنامج الكبير ، فكأنها قد أنشئت في عصره من جديد . عادت إليها الحياة ، ودبت فيها روح النشاط بعدما احتمته على أيدي بلاد الأتراك ، من ظلم وهوان ، بل لقد أوشكت في عهده على ما هو أكثر من الخراب والدمار ، فأخذها محمد على من هذا الحال . وأزال ما فيها من الخرائب والأنقاض . وبتعبير أوضح ، أصلح أسوارها ، وأحيا أبراجها وأبوابها ، وشيد فيها ثكن الجند ، ودواوين الحكم ، ومصانع الذخيرة ، ومدارس الجيش ، وقصورا للسكنى ، وأكثر من ذلك أبنتي بآلله .

أجل . استطاع محمد على الكبير ، بهمة العالية ، ونظرته الصائبة ، أن يعيد للقلعة أيام مجدها الأولى — مجد القرون الوسيطة وعظمة حكم المماليك ويرد عليها أزهر عهودها .

ومن المقطوع به ، أن عناية هذا العاهل الكريم بالقلعة لم تكن إلا طرفا من عنايته بالجيش الذي ارتأى فيه الدعامة الأساسية التي ينهض عليها كيان مصر المستقلة ، مصر الظافرة ، الجيش الذي خصه بأعظم نصيب من جهوده ، وأوفاه بأكبر قسط من تفكيره ، ومن أجله هيا دور العلم ومدارس الطب وأركان الحرب والفنون العسكرية ، وأوجد دور الصناعة العسكرية والمدنية ، وأقام الحصون وزودها بالمدافع والجند

والحديث عن جهود رأس الأمرة العلوية التي نذرها للجيش حديث مستفيض منشعب الأطراف ليس هذا محاله. وبعبارة أبين أن الحديث في هذا السياق ينصب أنصباً على أعماله العظيمة التي لمست القلعة تلك الأعمال الجليلة التي تشهد بفضله على هذا الأثر الإسلامي المجيد.

أو ليست أعمال محمد على الكبير في قلعة الجبل هي شاهد عيان لهذا الدور الذهبي الذي مر بتاريخ القلعة.

ويشاء القدر أن تشب حريق بالقلعة في ١٩ رجب سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤م) فدمر كثيراً من منشآتها. ويحدث في العام التالي انفجار بمخزن للبارود قوض أشتاتاً من مبانيها وأسوارها. فلم يلبث محمد علي أن عني بإصلاحها والاستزادة فيها وأرسل إلى سلاطيك يستدعي العمال والبحارين ويؤيد ذلك الوثيقة التالية :

من الجنب العالى الى الوزير والى سلاطيك :

يطلب منه أن يرسل بمعرفة الخواجه سوترى الألبانى وكيل الخوجات طوبىبيجه من النجارين المصريين بذاك الطرف بنائين ومهالاي قومون بتكسير الأحجار وترميم قلعة مصر التي أكلتها الزيران حيث شبت فيها قضاء وقدّر في ١٩ رجب سنة ١٢٣٩ هـ لأنه لا يوجد في الوقت الحاضر عمال وينأون صالحون للقيام بهذا العمل في مصر.

ومن ثمّ تنتقل إلى عرض منشآت محمد على الكبير في القلعة ، على حسب تاريخ عمارتها ، وهى قدر ما وصل اليه بمحشا .

دار الضرب :

تقع هذه الدار شمال شرق ديوان الكشخدا (قاعة العدل) وشرق جنوبى مسجد محمد على . وهذه القاعة أنشئت أصلاً في عام ١٧٠٩ م ، وظلت باقية

إلى أن جردها مجد على عام ١٨١٢ ، وأثبت هذا التجديد في لوح رخام ،
على بابها الوسيط ، ونصه :

”جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم مجد على باشا وإلى مصر حالا“ .

ودار الضرب بناء مستطيل له فناء مكشوف ، أحدثت به حجرات
متجاورات يعلوها قباب مبنية بالطوب فتحت بأعلاها مناوور . ويتوسط
الفناء غرفة بيضاوية الشكل مقامة بالمحجر .

ويرى إلى الآن بعض الغرف التي كانت بها آلات الضرب .

ومما يذكر أن هذه الدار كانت تجمع عددا كبيرا من الصنائع أوفى في سنة
١٨١٢ على نحممانه صانع .

قصر الجوهرة :

يقع هذا القصر جنوبي مسجد مجد على . وكان موضعه أبنية قديمة بناها
الملك الأشرف قايتباي والسلطان الغوري . وقد نسب المؤرخ الجبرقي إلى
محمد على هدمها ضمن حوادث عام ١٨١٢ . فقد ذكر :

”أنه محمد على“ هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الأماكن . فهدم
المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه
للداخل إلى الحوش علو السكائر الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير
وما اشتمل عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الافندية والمقاوات أيام
الدواوين وشرع في بنائها على وضع آخر واصطلاح رومي وأقاموا أكثر
الأبنية من الأخشاب .

والمدخل الرئيسي للقصر في الجهة الشرقية أمامه مظلة محمولة على عمد
رخامية ومكتوب على أعلا الباب ”يا ففتح الأبواب افتح لنا خير الباب“
سنة ١٢٢٨ هـ . ويفضى هذا الباب إلى طرقة كبيرة بها عقود حجرية تنتهي
إلى سلم فباب كبير مكتوب عليه بالخط الفارسي ”الله ولي التوفيق“ ١٢٢٩ هـ

وعلى يسار هذا المدخل أبنية تسودها البساطة متصلة بديوان المكتخذ. ونهايته الشرقية البحرية قاعة مستطيلة لها سلم مزدوج يوصل الى الميدان الواقع أمام دار الضرب ومكتوب على أحد أبواب هذا الجناح "من آمن بالقدر آمن الكدر" ١٢٢٩ هـ. وكان هذا الجناح مخصصا للموظفين .

أما قصر الجوهرة فكان مخصصا لاستقبالات محمد علي وبه قاعة كبيرة عرفت بصالة العرش يتوصل اليها من الباب الأوسط المكتوب عليه "الله ولي التوفيق" وحجرة العرش أو الفرمانات أكبر حجرة بالقصر بجدرانها بقايا نقوش وسقفها على شكل ببضاوى به نقوش مذهبة تمثل آلات حربية وموسيقية تتوسطها سررة خشبية مذهبة بها مجموعة من الفواكه وهى تشرف على ميدان صلاح الدين .

ويحتوى القصر على عدة غرف كبيرة وصغيرة ولها أبواب تصل الى القاعة الكبرى التى نقش على أعتابها صور لسفن الاسطول وعلى أعتاب هذه الغرف نقشت صور سفن حربية ، وبالجهة الشرقية يوجد حمام فرشت جدرانه وأراضيه بالرخام المستورد من محاجر بنى سويف وبه حوض رخامى من قطعة واحدة .

وقد زار محمد علي فى هذا القصر كثير من الأعلام المشهورين منهم الأديب الفرنسى "شاتوبريان" والكونت دى فوربان الذى وصف فى كتابه مدينة القاهرة كما وصف حفلة استقبال (١٨١٧-١٨١٨) فى القصر ، ولما زار مصر السلطان عبدالعزيز عام ١٨٦٢ احتفل به الخديو اسماعيل باشا احتفالا كبيرا ، وأقام بهذا القصر سبعة أيام (١) .

الدفترخانة (دار المحفوظات) :

شيدت دار المحفوظات على انقاض طبلخانة ييبرس وتقع خارج الباب الجديد الى اليمين ، وقد أمر محمد علي ببنائها فى عام ١٨٢٨ (١٢٤٤ هـ) ووجهاتها

(١) حسنى عبدالوهاب — مجلة العجزة ، العددان ٣ و ٤ عام ١٩٤١ ص ٢٨ — ٣٢

تمتدية بالحجر — والباب الأصلي لهذه الدار يعلوه لوح رخامي مكتوب باللغة التركية ترجمته ما نصه .

ملك مصر محمد علي باشا ذو المآثر لقدرة العالی تتلا لأ الأفلاك في بروجها
أرض عرشه ملجأ أهل المعارف وإطالع نوره تزهو الشمس والقمر
بهيمته العالمة عمرت أم الدنيا فلم تبق خرابات مهتدة
أطال الله عمره وأقباله فهو الذي جاهد بهمة في سبيل الدين والدولة
أنشأها — لحفظ دفا تر مضر فانظر هكذا الدفترخانة المئينة النادرة
يا كاشفا أنت في التفكير ذاك التارنج الوجه صب ماؤه والقلم قال الدفترخانة
ويعلو هذا اللوح سبع كوابيل تحمل " خارجه " حجرية بها ثلاث نوافذ
تنتهي من أعلا بكورنيش هرمي .

ويؤدي الباب العمومي الى طريقة معقودة تنتهي الى فناء مكشوف تحيط به
مقود ستعمل ظهرها ممرا حول الحوش ينتهي بسور فتحت به المداخل .
وبالجهة الشمالية للفناء باب آخر يوصل الى فناء داخلي أحدثت به العقود
الحجرية خلفها ممرات معقودة على جانبيها غرف أعدت للمحفوظات يعلوها
دورتان . وطراز دار المحفوظات من طراز السور الشمالي الممتد من الباب
الحديد الى شارع الحجر بما فيه الباب المسدود .

مجموع " ربة " في دار

قصر الحرم : ١١

يقع هذا القصر في داخل قلعة صلاح الدين ويشرف على جبل المقطم
والخطابة . وقد أمر محمد علي بإنشائه في عام ١٨٢٧ م ، ويتألف من
أجنحة ثلاثة

في دار الحرم : ١٢

فالجنح الشرقي ويصل اليه من باب معقود بواجهته القبلية مكسو
بالرسم الأبيض عليه زخارف بارزة ولوح رخامي به كتابة تركية ترجمتها: (١)

ان محمد علي باشا حاكم مصر الذائع الصيت
الذي يمد في العالم في باب لطفه وكرمه الزخرف التام

هو خديو أعظم بطاويل السماء في علاها ويحاكيها في ظله
وصاحب السيف والقلم وهو آصف غلامه بمنزلة بهرام

شيفه يشتت شمل زمرة الطفلة
وقلمه كسحاب الربيع وورد حديقته الكرام

قد أنشأ ذلك الحاكم العالم الشأن قصرا جديدا كتحفة
يحدر به إذا كان بهرام بوابه

هو قصر كالجنة ياله من قصر بديع مزخرف
لم ينطبع مثله أصلا في أديم السماء الصافي كالمراة

شعرت في داخله بانسراح إذا شاهده
ويفوح من صوره ونقوشه أريج الجنان

وقد قن رسمه بهزاد
نجح هكذا يجب أن يكون الرمام في العالم

لقد كتب التاريخ "عزيز" بيت مجوهر
جعل الله العلامة منشئة سعيدا

ان هذا الباب الجميل لمحمد علي باشا العادل
ظل مفتوحا بالسعادة الى يوم القيام

(١) ترجم هذه الكتابة الأستاذ محمد قنم رئيس الترجمة بالمحفريات التاريخية بدمشق بدين.

ويفضى هذا الباب الى دركاة بها صفوف وعقود حجرية على يسارها
حجرة للحارس . وهذه الدركاة تؤدى الى فناء مربع يحده الشمالى باب به
دركاة على نفس السابطة توصل الى فناء آخر تشرف عليه واجهة القصر ،
على امتداد الجناحين الآخرين . ويحيط بهذا الفناء أبنية مكونة من
طابقين .

وواجهة هذا الجناح مؤلفة من ثلاثة أدوار .

وقد نقشت الجدر الداخلية برسوم زيتية ملونة تمثل جواسق وستائر
وأفاريز وزخارف شجرية فيها بعض الزهور .

والقصر يشتمل على غرف كبيرة نقشت جدرها وأسقفها بنقوش جميلة
بعضها مذهب .

وهناك سلم مزدوج يوصل من الدور الأرضى للعلوى — وهنا يجحد
الزائر ردهة كبرى بها أربع ايوانات فى بعض اركانها بابان لغرفتين — وفى
بعضها غرفة وطرفة توصل الى باقى أجزاء القصر .

وهذه الردهة أبهى ما فى الجزء الشرقى من القصر . وكذلك حجرة
الفسقية الموجودة بالطرف الشرقى البحرى منه .

والنقوش التى تعلو جدر الغرف تدور حول مناظر الزهور فيما عدا
السقف فنحرفه هندسى الشكل .

الجناح الأوسط

يتوصل الى هذا الجناح من حديقة الواسعة التى تبلغ
مساحتها ٧٠ × ٥٧ مترا تقريبا . أحيطت بتكايب الكرم تتوسطها
نافورة يعلوها جوسق . وتطل على الحديقة واجهة القصر ويتوسطها
باب كبير ركب عليه مصرعان عليت خشواتهما بنقوش بارزة — وهذا
الجناح يحمل أنه كان المدخل الرئيسى للقصر — ويؤدى الباب الى سلم
مزدوج يوصل الى الدورين العلوين . والدور الأرضى يحتوى على ردهة

كبيرة بكل ركن من أركانها غرفتان — وجدرها محلاة بصور زيتية وكذلك الأسقف . ويوجد بهذا الدور حمام يتألف من طريقة مستطيلة مغطاة بسقف جصي حلى بزجاج ملون ثم باب أول وهي غرفة مقسمة الى ايوانين بينهما درفاعة يغطي الجميع سقف جصي من الزجاج الملون وواجهة كل من الإيوانين محمولة على عمود رخامية قواعدهما مربعة ومطعمة برخام أحمر اللون .

والقسم الداخلى (بيت الحرارة) يوصل اليه من باب بالغرفة الأولى على جانبيه نافذتان لتوصيل الملابس منها وهو مقسم الى أقسام أكبرها أوسطها يغطي الجميع سقف جصي بتقاسيم زخرفية والسقف مجول على عمود رخامية وبالصدور حوض رخامى كبير من قطعة واحدة .

ومن السلم المؤدى يصل المرء الى الدور الثالث وينتهى الى ردهة كبيرة تبلغ مساحتها 26×14 مترا تقريبا بها أربعة ايوانات مقاس بعضها 13×10 متر تقريبا . والسقف والجدر مزخرفة ومنقوشة بالصور

الجنّاح الغربى

يمتد سورده الخارجى مع الجنّاح الأوسط — ويصل اليه من باب فى السور القبلى — يوصل الى فناء كبير مساحته 75×60 مترا تشرف عليه واجهة الجنّاح المتصلة بباقي الوجهات . ويتوسطها باب يوصل الى القاعة الكبرى بالدور الأرضى وإلى السلم المزدوج — وتصميم هذا الجنّاح مماثل تقريبا لتصميم سابقه وله واجهة أخرى تطل على مدخل القاعة . وقد طرأ عليه تغيير كبير اذ أبدلت سقفه بأخرى حديدية فازيلت زخارفه .

وجميع أجزاء القصر تتصل بعضها ببعض — كما أن بفناء كل جنّاح سور به باب يوصله بالجنّاح الآخر^(١)

(١) حسن عبد الوهاب — مجلة العمارة ج ٣ ص ٣٨ — ٤٦

دار الصناعة :

لعل هذه الدار كانت أهم منشآت محمد علي الكبير العسكرية بالقاهرة... فقد كانت الصناعة في مصر محصورة قبل عهد علي الكبير في نسيج الكتان والصوف والنجارة والسبك وصناعة الحصر وما إليها من الصناعات المختلفة. فلما تولى عهد علي بدأ بالنقاط من تبقى من أرباب الصنائع وحشدهم في القلعة سنة ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) وجمع لهم ما في المخازن من الخشب والحديد فشرعوا في صنع آلات الحرب وصب المدافع وما يلزمها من العجلات والعربات

ومع إنشاء محمد علي للمصانع الحديثة أوفد البعثات من نجباء التلاميذ المحمريين إلى أوربا لاقتان الصناعات حتى تستغني البلاد بهم عن اليد الأجنبية.

أنشأ محمد علي في القسم الجنوبي من القلعة دار صناعة كبرى تضم مصانع متنوعة أهمها مصانع للأسلحة الخفيفة ولطارق النحاس وصب المدافع وسيوف الفرسان ورماحهم والجم والسروج ولاحقاتها وصناديق الذخيرة وغيرها.

وكانت هذه المصانع تمتد من أسفل قصر الناصر بن قلاوون إلى باب الغرب. وما زالت آثارها إلى اليوم تشغلها ورش وبعض مخازن مصابغة الأسلحة والمهمات.

قبل أن يبدأ إنشاء دور الصناعة بالقلعة كان بها في عام ١٨٢٣ مصانع تافهة، بيد أن من المؤكد أن أرجاءها قد اتسعت عام ١٨٢٧. وكان أهم مصانعها وأكثرها نشاطا معمل صب المدافع الذي كانت تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة عيار ثمانية أرتال وصنعت فيه مدافع الهاون ذات الثمان بوصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة.

وقد أشرف على إدارة هذه المصانع اللواء إبراهيم أدهم باشا، وكان يعمل فيها تسعمائة صانع ينتجون شهريا من ٦٠٠ إلى ٦٥٠ بندقية، وقد بلغ تكاليف البندقية الواحدة ١٢ قرشا. وكان لرؤساء الصناعات مرتبات ثابتة وللعمال أجور يومية.

ولما زار الماريشال "مارمون" دار صناعة القلعة عام ١٨٤٤ عجب بنظامها وأعمالها وقد قال عنها : مما أعجز عن توفيته حقه من المدح مصنع الأسلحة الذى يبدع من هذه الأسلحة أكثرها استجماعا لضروب الكمال والاتقان . والمعامل من هذا القبيل فى مصر ثلاثة . زرت منها معمل القلعة باحثا مدققا منتقدا . قرأت أن الأسلحة التى تصنع قد جمعت وسائل الآلة ان المتوفرة فى ما تصنعه معاملنا من نوعها . والنوع الذى يصنع فيها منقول عن الطراز الفرنسى - وجميع الاحتياطات الكفيلة بجودة هذا السلاح تتخذ فى معاملنا سواء - وقد اتبعت فيها طريقة توزيع العمل والمراقبة المتبعة فى معاملنا . فإن كل شىء يعمل بالقطعة وفقا للنظام المقرر . وخلاصة القول فإن معمل السلاح الذى زرتة يناظر أحسن معامل فرنسا وأرقاها نظاما وجودة وأكثرها رعاية لأصول الاقتصاد (١)

جامع محمد على (٢)

وأينا محمد عليا قد شيد فى القلعة القصور ودواوين الحكم والمدارس ودار الضرب ثم أصلح أسوارها وعمر أبراجها - وسنراه يشيد مسجدا لأداء الفرائض وليكون له المقر الأخير . فعهد الى المهندس التركى يوسف بوشناق بوضع تصميم له فوق اختياره على مسجد السلطان أحمد بالاستانة واقتبس منه مسقطه الأفقى بما فيه الصحن والنافورة مع تعديلات قليلة شرع فى بناء الجامع سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) واستمر العمل سائرا بلا انقطاع حتى توفى محمد على سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) فدفن فى المقبرة التى أعدها لنفسه بداخل الجامع - وكان بناؤه كاملا من أسوار وقياب ومنازل وديارات تعلو الشبابيك الخارجية .

ولما تولى عباس الأول نهض المهندسون بأعمال النقش والتذهيب وبعض أعمال الرخام بالمسجد . ثم أمر بعمل تركية رخامية ومقصورة

(١) كلوت بك - لحة عامة فى مصر ج ٢ ص ٤٥٤ - ٤٥٥ :

(٢) حسنى عبد الوهاب - مجلة العماره .

نحاسية . ثم عني بالمسجد سعيد باشا . كما اهتم الخديو اسماعيل باشا بعمل
له أبواباً حديدية بسماعات نحاسية وأحاطه بأسوار وأنشأ له دورة مياه .
ثم عني به المغفور له توفيق باشا سنة ١٨٧٩ فامر بإصلاح رخام الصحن
وإعادة رصاص القباب

وكانت أكبر رعاية نالت هذا الجامع عناية المغفور له الملك فؤاد الأول
لما أن وصل إلى مسامعه نبأ الخلل الجسيم الذي تطرق إلى سقف الجامع
وقباه حتى أصدر أمره بتكوين لجنة من كبار المهندسين — وطنيين
وأجانب — لفحصه ووضع مشروع لإصلاحه وكان ذلك في ٢٩ ديسمبر
سنة ١٩٣١ .

وانتهى الأمر بإزالة قبة الجامع الكبيرة وما حولها من أنصاف قباب
وقباب صغيرة وإعادة بنائها . وقد كشفت عملية الإصلاح صيوباً شتى في
البناء واستمر العمل حوالي أربعة أعوام انتهى في سنة ١٩٣٩ وبلغت تكاليف
أعمال الهدم والبناء ٦٠,٠٠٠ جنيه مصري ونفقات البياض والزخرفة
حوالي ٤٠,٠٠٠ جنيه .

وصف المسجد :

المسجد مستطيل البناء ينقسم إلى قسمين : القسم الشرقي وهو المعد
للصلاة ، والغربي وهو الصحن تتوسطه نافورة للوضوء . ولكل من
القسمين بابان أحدهما قبلي والآخر بحري .

والقسم الشرقي مربع الشكل أطول ضلعه من الداخل ٤١ متراً تتوسطه
قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد
محمولة على أربعة عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة يحوطها
أربعة أنصاف قباب وذلك خلاف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد
وقد كسيت جدر المسجد من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة
الداخلية الحاملة للقبة إلى ارتفاع ١١ متراً بالرخام الوارد من محاجر بني سويف

ويعلو مدخل الباب الغربي المؤدى إلى الصحن دكة المؤذنين بعرض
المسجد مقامة على ثمانية عمد من الرخام فوقها عقود — ولها صاج من نحاس
يتوصل إليها من سلم المنارتين . وبدائرة المسجد من أسفل الشبايك كتب
على أعتابها من الداخل أبيات قصيدة البردة

والحجرات من الرخام (الالستر) يجاوره منبر رخامي أمر بعمله جلالة
الملك فاروق أعزه الله — وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم للمسجد وهو
أكبر منبر في الآثار العربية .

وفي الركن الغربي القبلي ضريح محمد علي يتألف من تركيبة رخامية حولها
مقصورة من النحاس المذهب جمعت بين الزخارف العربية والتركية .

وعلى طرفي الواجهة الغربية للصحن منارتان وشرفان ارتفاعهما ٤٨ مترا
من مستوى أرضية الصحن بكل منها ٢٥٦ درجة إلى نهاية الدائرة
الثانية .

وتبلغ مساحة الصحن ٥٢ × ٥٤ مترا يحيط به أربعة أروقة ذات عقود
محمولة على أعمدة رخامية تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ومغشاة من
الخارج بالواح من الرصاص كالقبة الكبيرة . وبدائرة الايوانات المذكورة
٤٦ شباكا تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث البحرية والغربية
والقبلية .

وأما الجهة الشرقية فتشرف على الجامع وبها ثمانية شبايك — ومكتوب
على أعتابها أبيات من القرآن بالخط الفارسي الجميل بقلم الخطاط المشهور
"ستكلاخ" سنة ١٢٦٢ هـ .

وبوسط الصحن قبة أنشئت سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) مقامة على
ثمانية أعمدة رخامية وبداخلها قبة أخرى رخامية مئمنة نقش على أضلاعها
عناقيد غنق وبها طراز مكتوب بالخط الفارسي آية قرآنية .

ويتوسط الرواق الغربي بالصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الماون
بداخلها الساعة الدقاقة التي أهديت إلى المنفور له محمد علي باشا من ملك
فرنسا لويس فليب سنة ١٨٤٥ م .

وأمام الرجهتين القبلية والبحرية للقسم الشرق رواقان بهما عمد رخامية
تحمل قبابا صغيرة .

وفي عهد جلالة الملك ناروق الأول تمت أعمال الإصلاح بالجامع وافتتحها
باداء فريضة الجمعة فيه يوم ٥ المحرم سنة ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

وجلالته هو الذي أمر بعمل المنبر الرخامي المجاور للحراب . كما أمر بسد
الفتحات الموجودة في فجوة الحرب برخام الابستر تكون منسجمة مع باقي
الكسوة الرخامية حولها وأمر بتذهيب وتماية التركيبة الرخامية على قبر
جده العظيم .

عمارة أسوار القلعة وتجديد أبوابها وأبراجها

انتهينا من وصف ماثر محمد علي الكبير في داخل قلعة صلاح الدين ، وكأنه لم يق
فيها من مخلفات هذا السلطان سوى القصرين والجامع ودار العدل والضرر بخانة ،
فقد اندثرت معظم أعماله إذا استثنينا أجزاء هامة من السور الخارجي والبر

لما ولي محمد علي الحكم رأيناه يرجه عناية إلى أحياء هذا الأثر العظيم ،
أليست القلعة أعظم أثر إسلامي في وادي النيل ، ألم يحفل تاريخها
بالأحداث الجسيمة والمآسي أيضا ، لقد استهوى تاريخ عمارتها أكثر
من دالم ومؤرخ ، منهم المقرئزي المصري وكازانوفالفرنسي وفان برشم
السويسري وكريزويل الانكليزي ، ومؤلفاتهم عن القلعة تعتبر المراجع
الفريدة في تاريخها ...

وتشهد ثلاث كتابات تاريخية بما تم على يد محمد علي في أسوار القلعة وأبرابها ، وتقابلا أولى تلك الكتابات فوق باب القلعة المواجه للجامع ابن قلاون ، وهى باللغة التركية ، نصها :

كشاد أولد بچه بر ياب فرحرا قيا نسون ديدنه بدخواه أعدا
فيله بانيسنه مرلا مبارك بحق سورة يس وطه
سنة ۱۲۴۲

ونقرأ الكتابة الثانية على باب قصر الحرم الشرقى بتاريخ سنة ۱۲۴۲ كما تقابلنا الكتابة الثالثة على باب هذا القصر الغربى وتاريخه ۱۲۴۲ أيضا.

وقد اكتشف المؤرخ كازانوف كتابا باللغة التركية فوق باب الدرفيل المهدم كما كانت حالته فى أواخر القرن التاسع عشر، وهذا نصها بعد الطوارئ السلطانية خان معظفا عبد الحميد محمود ما شا الله .

خديو خطنه معذور لم دنيا كيم
فروغ احتري أفتاره مهر عالمتاب

نه غم كلورصف اسلامه جونكه اتيده در
لسان خنجري أعداى دينه رد جواب

بود كلو قننى بر امارينى بيان ايده لم
حبها نده بقعة خيوى برون زحد حساب

فور لدى بر در زيننده طانولا كيم
سوا در شمينى وقتده كورمدى

دوام دولت واقبالنه سوزاولماز هيچ
كه اسمى نام محمد على له شهر ثباب

زهى وزيرهم بينه صندر محمود
كه هر ايوره مئينى مسبب الاسباب

بيوردى ايلدى تجديد برا شارته
حصار نداء يوسف كه اولمشيدى خراب

شر أشارت ايله سويله كاشنا تاريخ

بوب باب قلعة على يا بيلدى خيرى ماب

سنة ١٢٤٠

ومما يذكر أن محمد على باشا أنشأ الباب الحديد (الباب الحالى للقلعة) فى عام ١٨٢٥ . وردم مامه مسافة لكى يسهل الصعود اليها على الأقدام وبمساعدة العربات . وهذا الباب بلاصق تقريبا المندرج — وهو مناسب الشكل يمتد خلفه ممر طويل ذو سقف مقبب ينتهى بباب آخر تمتد قبالة فسيحة مربعة الى جنوبيها باب صغير فى وسط الجدار أقامه محمد على أيضا . وقامش تاريخ البناء على تلك الأبواب والباب المسدود تجاردار المحفوظات وقرأ عليها باللغة العربية .

بامفتح الأبواب افتح لنا خير الباب

وتواريخ سنة ١٢٤٠ و ١٢٤٢ هجرية (١٨٢٤ — ١٨٢٦ م)

وكما قلنا أزال محمد على جل الأتقاض اتى تراكت فى خلال السنين داخل مباني القلعة ، وأصالح جمع الأسوار والجدران الداخلية والخارجية التى شيد بها صلاح الدين والكامل وابن قلاوون وسواهم من بناء القلعة الأمجاد .

الخديو اسماعيل

وفى أثناء حكم الخديو اسماعيل (١٨٦٢ — ١٨٧٩) كانت العناية بالقلعة على أتمها . فقد رما الكثير فى أسوارها وأثبت هذا على لوحة مستطيلة فى الرخام الى يسار لوحة السلطان برقوق جنوبي باب العزب ومن المحتمل أن يكون — اتخذ قصر الحريم نظارة للخرابية فى ذاك العهد قبل تشييد نكتات قصر النيل

وقد أصلح الخديو اسماعيل ميدان الرميالة ووسعه وغرس به الاشجار وأوصله بشوارع محمد على . فصار أفسح ميادين القاهرة

القلعة في عهد الفاروق المعظم

كان المغفور له الملك فؤاد الأول قد أمر بتجديد أعمدة وستف مسجد جده العظيم محمد علي الكبير ، وقد تم هذا العمل العظيم في يناير سنة ١٩٣٩ في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ، حفظه الله ، حيث تفضل بافتتاحه للصلاة في يوم الجمعة الموافق الخامس من محرم عام ١٣٥٨ هـ (١٩٣٩ م) .

أمر جلالاته بأن تبذل العناية بما تضم القلعة من الآثار والأبنية والقصور والمساجد ، فقامت ادار الآثار العربية بتجديد مسجد الناصر محمد وتكسية جدراته وحائط قبلته بالمرمر ، وإعادة الأبنية الى ما كانت عليه ، ووكّل جلالاته الى المرحوم سحاب الماس بك الاشراف على عملية الترميم الفنية في قصر الجوهرة ودار الكتبخدا وقصر الحريم وغيرها من الدور والكنائس .

وشغل الحرس الخيالة الملكي ثكنة كبيرة في الجزء الشمال الشرق من القلعة كما شمل المتحف الحربى قصر الحرم ، وشغلت المدنية المحافظة المباني التي تحيط بميدان سارية العلم ، وقد أمر جلالاته باصلاح ساحة القلعة التي كان ويس فيلب قد أهداها لمحمد علي باشا عام ١٨٤٥

وفي عهد جلالاته الزاهر أعيد الى قصر الجوهرة رونقه الجميل ونقوشه الطريفة التي تنفرد بها جدران كل قاعة ، ويلاحظ في مدخل هذا القصر أن العاهل العظيم قد نقش شعاره الذي ينص على :

انى لم أبلغ ما بلغت الا بسمعتى بين شعبي وبمشيئة شعبي

وقد اضاف النازوق المعظم مئة الى عناية جلالتهم باعادة الحياة الى تلك المنطقة الخالدة باهداء ددة مئات من الصور الفنية الرائعة التي تمثل ملابس كتابة الموظفين في عهد آل عثمان

ويتمه التفكير لكي يكون لهذا القصر متحف لعصر محمد علي شاملا كل الفنون التي برزت آنذاك وسيتمضمّن أيضا الأثاث الخاص بمحمد علي باشا.

وقد ارتدت الحياة الى مباني دار العدل وغرست قباتها الحدائق النناء وأقيم درج من الحجر تصل بينها وبين الحدقة التي تواجه قصر الجوهرة.

وتتوالى المهمة لاصلاح دار الضرب لكي تكون متحفا للعملة المصرية أما قصر الحرم فقد انتهى اصلاح الجزء الأوسط منه وفي سبيل ترميم جزئيه الشرقى والربى ، كما أنشئت الحدائق حول القصر ورصفت الطرق المؤدية اليه وغرست الأشجار ونسقت المدافع في ميدان القصر الكبير

كما اتخذت دار الكتب المصرية المبنى الذى يقع على يسار الداخل الى الميدان الفسيح وجعلتها دار كتب

رفع علم مصر على القلعة

وفي هذا العهد السيد ، فى يوم الخميس الموافق الرابع من شهر يولييه عام ١٩٤٦ ، احتفل بتسليم القلعة للجيش المصرى فى احتفال عسكري مؤيّب ، فعادت القلعة بعد انقضاء أربعة وعشرين سنة الى أصحابها. وسلم الجنرال الفرى القائد البريطانى لقوات القاهرة مفتاحها الاثرى الى حضرة صاحب السعادة الفريق ابراهيم عطا الله باشا رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، فى مظاهرة عسكرية .

وشهد يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٤٦ أروع احتفال فى تاريخ مصر الحديث كله . فكان بحق يوما مجيدا . وسيفلّ على مر الأيام يوما خالدا فى تاريخ نهضة مصر . وفى هذا اليوم رفع ملك مصر علم مصر على قلعة مصر .

وفي هذا اليوم قال الفاروق المعظم :

لقد رفعت علم مصر فوق قلعة مصر ، ولندع الله أن لا يتزل منها أبداً
وسيكون هذا العلم فاتحة خير إن شاء الله ، سيكون رمزا لليوم الموعود .

وقد قضت الارادة الملكية السامية بأن يكون الاحتفال برفع العلم
المصرى فوق هذا المكان الخالد الذى له تاريخ مجيد فى عصور مصر
الاسلامية . فى ذلك اليوم بالذات لأنه يوم ذكرى وفاة البطل العظيم
المغفور له محمد على الكبير مؤسس الأسرة المالكة فى مصر . ونداء تعدت
وزارة الدفاع لهذه الحفلة التاريخية استعدادا كبيرا يليق بمناسبتها العظيمة ،
فأنشأت سارية جديدة للعلم متناهية العلو (٢٨ مترا) فوق أعلى منطقة
فى القامة بحيث تطل على مدخل القلعة من جهة ميدان صلاح الدين وأقيمت
هذه السارية على قاعدة جديدة من الحجر الجبل أشرف عليها الأستاذ سحاب
الماس بك وكسيت جوانبها الأربعة بلوحات من الرخام نقشت عليها أسماء
المواقع الحربية التى انتصر فيها الجيش المصرى من عهد السلطان صلاح
الدين الى عهد المغفور له الخديو اسماعيل .

وقد نقش على اللوحة الثامنة :

”بنعمة الله تعالى رفع حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول ملك مصر
وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور العلم المصرى خفقا
على هذه القلعة فى الثامن عشر من رمضان عام ١٣٦٥ هجرية الموافق
يوم ذكرى وفاة المغفور له جده العظيم محمد على باشا الكبير“ .

ونقش على اللوحة الرابعة النطق الملكى الكريم :

”ما دام هذا العلم العزيز يخفق فى هذا المكان لن يصاب الوطن بسوء“
حفظ الله الملك .

وأحيطت قاعدة سارية العلم بأربعة مدافع كبيرة يرجع تاريخها الى
عهد محمد على الكبير ، اصطفت قوات الجيش المصرى من متباين

الأسلحة على جانبي الطريق ، من ميدان صلاح الدين من أول منحدر مسجد الرناعي والسلطان حسن الى الباب الحديد . واصطفت وحدات سلاح الخيالة الملكي خلف الجنود المشاة في ميدان صلاح الدين .

ووقف على باب القلعة حرس من جنود الجيش بملابس جنود محمد علي وكذلك من نهاية البوابة الخارجية الى نهاية الباب الأوسط . ووقف عند باب ميدان سارية العلم ، تحت برجيه — جنديان من الخيالة بملابس محمد علي ، كما اصطفت جميع ضباط الجيش من مختلف الرتب عند باب ميدان العلم وحول الميدان .

وقد أقيم في ساحة العلم المطلة على مدينة القاهرة سرادق كبير صفت فيه المقاعد المذهبة والمبطنة بالقטיפه الخضراء ووضع في صدره مقعد خاص لحضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وأعدت لكل هيئة مقاعد خاصة .

ولما عزفت الأبواق من أعلى أبراج القلعة كان ذلك إيذانا بأن الركب الملكي اتاز بوابة القلعة . ثم دقت الطبول الصنيرة دقات متواصلة فعرف أن الركب الملكي وصل الى ساحة الاحتفال . ونزل جلالة الملك من السيارة وهو مرتد البذلة " الخاكية " للقائد الأعلى للجيش وبه عصا المارشالية وكان في معيته دولة اسماعيل صدق باشا رئيس الوزراء .

وبعد أن صدحت الموسيقى السلام الملكي ، تفضل جلالتة فصاح مستقبليه ، ثم سار محوطا بهم وأخذ مكانه .

خطبة رئيس الوزراء

وألقى دولة رئيس الوزراء بين يدي جلالتة الخطبة التالية :

مولاي صاحب الجلالة

اليوم تستقبلك في هذه البقعة الخالدة روح جدك الأعلى المنفور له محمد علي باشا راضية مرضية ويستقبلك أحفاد جنوده الشجعان المظفرين

الذين سجلوا اسم مصر في سجل الخلود من عكا الى نصيبين بل الأمة المصرية
مثلة في هذا الاجتماع التاريخي المشهود — يستقبلونك جميعا يا مولاي
في غبطة لاتادما غبطة، ذلك لأن هذه القلعة التاريخية التي أنشأها الطل
الكبير صلاح الدين ودعمها ورفع مقامها الطل العظيم محمد علي قد عادت
حرة خالصة الى المصريين لما طابعها الوطني المصري وما كرامتها كحصن
لمصريين أيدي المصريين .

فليس من البر تاريخ هذه القلعة بما انطوى عليه من حوادث عظام
وأحداث جسام ولا من الرفاء لبناؤها وحماها وكانت دائما رمزا لاستقرار
الحكم وعزة الحكام ، أجل يا مولاي ليس من البر ولا من الرفاء أن يهون
من شأن هذا الحادث العظيم ، وقد كانت القلعة أول مكان في القاهرة
نزل به الاحتلال فكان حقا وعدلا أن تكون أول مكان يخلص منه وتد
خاصت فعلا والحمد لله وأصبحت أول مكان بدأ منه الجلاء المنشود الذي
قطعت الحكمة البريطانية عهدا على نفسها يوم الثلاثاء ٧ مايو سنة ١٩٤٦
بتففيذه تنفيذاتها برا وبحرا وجوا عن جميع الأراضي المصرية تلبية لاجماع
الأمة المصرية عليه إجماعا معدوم النظير .

وقد تنافس الحكام والأمراء في تخليد آثارهم بها ، فالظاهر ببرس
برج عظيم وقصر نفخ وللسلطان الأنرف مقعد عظيم وللاصر محمد برج كبير
لاتزل آثاره باقية خلف مسجد محمد علي والسلطان حسن . باني الجامع
المعروف قصر بانخ وللا ميرضوان الألفي الباب الساخ الذي يشرف
على ميدان صلاح الدين .

ولما نعمت مصر بهدي محمد علي الذي كان عنوان استقلالها وعلو شأنها
اتجه فيما اتجه له من شتى الاصلاح الى هذه القلعة فأصلح جانبها كبيرا من
سورها ودعم أبراجها وأبوابها وأنشأ فيها قصر (الجوهرة) ودار العدل
ودار المحفوظات ثم جعل القلعة مقرا لمعامل الأسلحة المتسعة الارحاء .

وبحالة القول إن القلعة قد تحولت الى خلية حية تنبض بالنشاط وعدها يتجلى بأس الدولة وقوة عزمها وإنتاجها المقتبس من بطولة محمد علي ، ثم توج هذا العمران فيها بإقامة المسجد الجامع آية كبرى على ما اجتمع لهذا العاهل العظيم من بند الحممة ونبالة المقصد والشغف بالفنون والمعارف وتجويد الصناءة .

وانتقل رئيس الوزراء الى الكلام عن مسجد محمد علي الى أن قال :
مولاي — إن هذا اليوم بيد الأثر نستقبله جادين موقنين بأن له ما بعده من الأيام وخطوة يتبعها خطى في سبيل الجلاء وعزة الاستقلال وإن كل أيامك ليكتنفها اليمن ويصاحبها التوفيق لوطننا العزيز فما خلعت البلاد خطرة ولا وثبت وثبة الا ولما من رعاية الفاروق هدى ونور أعز الله بكم البلاد وأحيا فيكم أنار الآباء والأجداد .

الملك يقبل العلم

وبعد انتهاء الخطبة وقف جلالة الملك وسار محوطا بالجميع الى باب السمرادق ، فتنفخ الجنود المرتدون ملابس عهد محمد علي في الأبراق من أعلى الابراج ودنت الطبول الصغرية وتقدم ضابط وجندي من عهد محمد علي يحملان العلم المصرى مطويا فقبله جلالة الملك وقصده به الضابط والجندي الى مكان السارية التي يرفع فوقها ، وقد صاح هذا الضابط هنك ضابطا صريديا ملابس العهد الحلى .

وعرض بعد ذلك علم محمد علي بحرسه جنود بملابس عصره فباه جلالة الملك كما حيا أعلام وحدات الجيش والبحرية والحوية وفي أثناء ذلك حلقت في جو مكان الاحتمال تسع طائرات في ثلاث دفعات على ارتفاع قليل جدا وقد كادت إحدى هذه الطائرات تمس أعلى السارية وكانت الأبواق تعزف أثناء ذلك من أعلى الأبراج أيضا .

وبعد أن اصطفوا حاملو هذه الأعلام حول قاعدة السارية ، تقدم جلالة الملك وفي معيته وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان حرب الجيش الى مكان السارية وتناول العلم — وهو هدية كريمة من جلالاته — وشده الى السارية حتى خفق فوقها تماما فزفت الموسيقى وأطلقت المدافع كما أطلق في الوقت نفسه سراح مئات من الحمام فكان المنظر بديعا .

وتفضل جلالاته بعد ذلك فأزاح ستارا أخضر اللون عن اللوحة التذكارية الخاصة بتاريخ الاحتفال ثم تفضل فرقع باسمه الكريم على سجل خاص .

وكان دولة رئيس الوزراء في انتظار جلالاته عندنهاية درج قاعدة السارية فتفضل جلالاته بمصاحفته واتحدث معه في طريق العودة الى سرادق الاحتفال .

ولما وصل جلالاته الى هناك هتف قائد قسم القاهرة ” يمينش فاروق ملك مصر “ ثلاثا وردد الجميع هنافه وعزفت الموسيقى السلام الوطني .

نطق كريم

والتفت جلالاته الى كبار المحيطين به قائلا ” طامبا هذا العلم العزيز يخفق على هذا المكان فلن يصاب الوطن بسوء “ .

جلالاته يصافح قائد الحامية المصرية

ولما بلغ الركب الملكي باب القاعة أمر جلالاته بوقوف السيارة الملكية ودعا اليه قائد الفصيلة المصرية التي تتولى حراسة مدخل القاعة وتفضل جلالاته بمصاحفته وأمره بالبلاغ تحيته لرجاله .

وقد أضيئت مساء الجمعة أسوار القاعة وجامع محمد علي وجامع الرفاعي وتمثل إبراهيم باشا بالقاهرة وتمثالا محمد علي واسماعيل بالاسكندرية ابتهاجا بهذه المناسبة وقد بقي العلم المصري مرفوعا فوق القلعة في ليلة الاحتفال .

لسوف يظل اسم القلعة مقترنا باسم الفاروق مدى الأجيال . ففي عهد
الزاهر تم تسليمها الى الحكومة المصرية . وبذلك أعيد الى مصر أول مظهر
قومي باعادة قلعة الجبل الى حظيرتها عليها يخفق العلم المصرى .

المتحف الحربى

وكان يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٤٩ من الأيام المشهودة فى تاريخ القلعة . فقد
كان اليوم الثانى من أسبوع ذكرى محمد على الكبير . وقد ناب عن صاحب
الجلالة الملك فى هذا الاحتفال صاحب المجد البيل سليمان داود . وشهده
كثير من كبار رجال الدولة وعلمائها وعظماء وممثلى الدول العربية والغربية
ورجال القصر الملكى وضباط الجيش . وكان معالى الفريق محمد حيدر باشا
وزير الحربية والى البحرية يستقبل المدعوين فى مدخل السراى الذى أقيم
لهم . ومع سعادة الفريق عثمان المهدي باشا رئيس أركان حرب الجيش
والأستاذ ابراهيم رياض محافظ القاهرة بالنيابة والقائمقام عبد الرحمن زكى
مدير المتحف الحربى .

وقد وصل نبالة نائب الملك الى مكان الاحتفال فى الساعة العاشرة
صباحا وفى منيته صاحب العزة محمود يونس بك الأمين الرابع فعزفت
الموسيقى السلام الوطنى وبعد أن صافح نبالاته كبار مستنبيه اتخذ مجلسه
فى صدر السراى بين مظاهر الحفاوة والتكريم .

وقد بدئ الاحتفال بكلمة القاها مدير المتحف وين يدي نائب جلالة الملك
تناول فيها كثيرا من المسائل التاريخية ونوه بنمضل جلالة الملك ورعايته
المتحف منذ نشأته الأولى .

ثم التمس معالى وزير الحربية من نبالة نائب الملك التفضل بافتتاح
المتحف فغادر السراى الى باب القصر وتقدم القائمقام عبد الرحمن

زكي بك: فتباح المتحف الذهبي في صندوق من الجلد فتناوله نائب الملك وفتح
المتحف واخذ يطوف بأقسامه بينما كان مدير المتحف يدلي بما عنده عن
المعروضات بدقة.

وظل صاحب المجد النيل سليمان داود يطوف بأقسام المتحف نحو أكثر
من ساعة وقد أعرب عن إعجابها عندما علم بأن كل ما في المتحف صنع بأيدي
مصرية وقد شاهد نبأته ماضي أمام المتحف وفي حديقته من مدافع الهاون
النقيية ومدافع الحصون التي صنعت في مصر وبعض المدافع التي اشتركت
في حروب استرجاع السودان.

وفي أثناء الطواف جلس نبالة نائب الملك في قاعة مجلس إدارة المتحف
ووقع سجل افتتاح المتحف وقدمت المرطبات خلال ذلك لنبأته ومن معه.
ثم غادر نباله القلعة عائدا إلى داره في منتصف النهار.

فمنعوا من الخروج إلى خارج القلعة إلا في بعض الأحيان
بشرط أن يكونوا في جماعة من خمسة أشخاص على الأقل
وأن يكونوا في ملابسهم نظيفة وأن يكونوا في
جملتهم من الرجال.

فمنعوا من الخروج إلى خارج القلعة إلا في بعض الأحيان
بشرط أن يكونوا في جماعة من خمسة أشخاص على الأقل
وأن يكونوا في ملابسهم نظيفة وأن يكونوا في
جملتهم من الرجال.

فمنعوا من الخروج إلى خارج القلعة إلا في بعض الأحيان
بشرط أن يكونوا في جماعة من خمسة أشخاص على الأقل
وأن يكونوا في ملابسهم نظيفة وأن يكونوا في
جملتهم من الرجال.

تحقيقات معمارية

لما بنيت القلعة في أيام صلاح الدين كانت مبانيها تشغل المنطقة الشمالية الشرقية من المساحة التي تشغلها القلعة في الوقت الحاضر . وكانت لها ثلاثة أبواب .

الباب المدرج وباب القلعة وباب القرافة . ويقع الباب الأخير — اليوم في المنطقة الشرقية للقلعة ويرى الأستاذ كريزويل أن جزء سور القلعة الشالى الذى يمتد من مسجد سيدى سارية الى زاوية السور عندما يدور للاتصال بالباب الحديد من أعمال محمد على الكبير . إذ أن خريطة القاهرة التى رسمها رجال الحملة الفرنسية لم يظهر عليها هذا الجزء من السور ومن المحتمل أن السور الشمال كان يمر فى مكان مبانى الواجهة الحالية بقصر الحريم الذى شيد فى أيام محمد على . وقد هدم لما بنى هذا القصر ثم شيد الى شماله السور الحالى الذى يفصله عن الواجهة الحالية لقصر محمد على الحديقة الموجودة اليوم .

وما زال جزء من السور الشمالى الأصيل موجودا الى اليوم خلف مسجد سيدى ساريه ويتصل بحائط القصر الشرقى . وما زالت قاعدة البرج المستديرة النديمة الذى كان عنده منحرف السور موجودة بقاياها الى اليوم ويبلغ قطر هذه القاعدة خمسين قدما . ومن المحتمل جدا أن يكون الشكل الامام للبرج المذكور على مثل البرجين الآخرين اللذين فى السور الشمالى الشرقى (١) .

(١) لم توضح بقايا هذا البرج على خرائط المساحة مقاس ١/١٠٠٠٠ . (ل. باق/ب)

ومن المأخوذ به أن بر يوسف كان يقع في محيط القسم الأصلي القديم في قعة صلاح الدين ولا ينتظر أن يكون البر الذي يمد سكن القلعة بالمياه يقع في خارجها وعلى ذلك يتبين أن يكون السور الذي للقلعة صلاح الدين كان قد بنى إلى جنوب السور الذي يقع فيه اليوم باب القلعة ليدخل ضمنه البر وقد أثبت الأستاذ كرزويل بعد قيامه بأبحاثه الأثرية صحة هذا الرأي كما أيد الرأي القائل بأن باب القلعة الأصلي الذي هدمه قلاون في ٢ سبتمبر سنة ١٢٨٦ (١ رجب عام ٦٨٥ هـ) كان في موضع جنوبي الباب الحالي المعروف بهذا الاسم والذي يواجه الباب الشمالي لمسجد الناصر — بنى في مكان هذا الباب قبة — وذكر أيضا كرزويل ما قاله المقرئ عن باب القلعة كما شاهده في أيامه وكان في المكان الذي يقوم عليه اليوم وأن الذي شيده محمد الناصر في حوالى عام ١٣٢٠ — ١٣٢١ م (٥٧٢٠ هـ) .

ومن حسن الحظ أننا نجد نقطة محدودة كل التحديد في القسم الجنوبي للقلعة في الكتابة المقوشة باسم السلطان محمد الناصر دلى بعد قدمين إلى يسار البرج المربع الكبير في الراوية الشمالية الغربية من مسجد محمد دلى . وتدل هذه الكتابة على أنه بديء العمل في البرج في جمادى أول وانهى في شوال عام ٧١٣ هـ (أغسطس — سبتمبر ١٣١٣ — يناير فبراير ١٣١٤) وإلى جنوب هذا البرج توجد عدة دعائم تربطها بعضها ببعض عدة عقود يعلوها كوابيل حجرية كبيرة ولا بد أنها بنيت لحمل الدعائم المربعة الكبيرة للقصر الأبق الذي شيده السلطان محمد الناصر عام ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) وانهى مرة في عام ٧١٤ هـ ولا تزال إلى اليوم ترى أحجار هذا النصر الملونة ملقاة في مكانها .

ويرى الأستاذ كرزويل وهو عميدنا في تاريخ القلعة من الناحية الأثرية أن توسيع القلعة تم في أيام حكم محمد الناصر واتجه هذا التوسع إلى الجنوب عندما بدأ بناية الحوش في عام ١٣٢٧ ١٣٣٨ (٧٣٨ هـ) وكانت مساحته أربعة أمدنة وقد شغل مكان الحفرة التي استمد فيها بناء القلعة الحجارة لبنائها . وكان هذا العمل كبيرا أخذ الأمراء على عاتقهم أن

يشيدوه برجالهم والاستعانة بحيراناتهم لنقل الرمل ومواد البناء . وقد اشتغل عدد كبير من أسرى الحروب مع رجال الماليك . وكان العمل مضنيا فمات منهم المئات . وفي هذا نجد تفسير وجود المرتفع الصناعي الذي تتركز عليه القلعة في الجزء الجنوبي كما يلاحظ الأثرى عند مقارنة طبيعة الأرض في المنطقتين الشمالية والجنوبية للقلعة . (١)

وينتقم الأستاذ كريزويل بمجته الأثرى للقلعة إلى أن إعادة اصلاح القلعة تم في خمسة عهود .

١ — في أيام السلطان برقوق على يد حركس الخليلي في ربيع الثاني عام ٧٩١ هـ (مارس ابريل ١٣٨٩ م) .

٢ — في أيام السلطان جقمق في ذى القعدة عام ٨٥١ هـ (يناير فبراير ١٤٤٨) .

٣ — في أيام السلطان قايتباي .

٤ — في أيام السلطان طومان باي في رمضان عام ٩٠٦ هـ (مارس ابريل ١٥٠١) .

٥ — في أيام الخديوى اسماعيل في رجب ١٢٨٥ هـ (أكتوبر نوفمبر ١٨٦٨) .

وجميع عمليات الإصلاح هذه مثبتة في كتابات منقوشة على جدران القلعة . وترى اليوم على الجدار الذى يقع الى يمين المدخل الخارجى لباب المدرج . وقد كانت تلك الكتابات التاريخية مثبتة في غير ذلك المكان ولا يعلم بالضبط أين كان

(١) A brief Chronology of the Muhammedan Monuments of Egypt to

A.D. 1517. Professor K.A.C. Creswell, 1916, Page 69 — 74.

بعضها . وقد ذكر الجرجي أن والى مصر التركي اسماعيل باشا (١٦٩٩ — ١٧٠٤) قام بعمل عدة اصلاحات في مبانى اروية لجنوبية الغربية (للتقسيم الجنوبي) كما شيد مجد على باشا الباب الحديد حوالى عام ١٨٢٥ كما شيد دار المحفوظات في عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨ — ١٨٢٩) والى جانب تجديداته



(شكل ٢ — النسر المنقوش على جدار القبة الداخلى)

شيد الكثير من المستشفيات التى مازالت باقية الى اليوم — والى مجد على يروح بناء جزء من السور لذى يربط مسجد سيدى سارية بالطريق المؤدى الى الباب الحديد — واليه يرجع أيضا بناء المبانى العلوية لأسوار القلعة التى تحتوى على أمكنة المدافع ومراجلها ذات الطابع العثمانى القديم .

٣ - لوحة خطية منقوشة على الحجر في المدخل الغربي للقلعة أسفل
 قبة منارة مسجد محمد علي - في ثلاثة أسطر مكتوبة بالشيخ
 المملوك نصها :
 ١٢٢٠ × ٥٦١ - لوحة منقوشة على الحجر في مدخل باب القلعة -

ملاحق

النصوص المنقوشة على جدر وأبواب القلعة .

تحصين القاهرة :

الأسوار الفاطمية ، السور الأول ، السور الثاني ، السور الثالث .

سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة .

أبو سعيد قرقوش مشيد القلعة .

ولاة القلعة .

سورة الفاتحة :
 بسم الله الرحمن الرحيم... أمر بإنشاء هذا السور المبارك ليعمل على
 الملك الظاهر أبو سعيد من نصرة وذلك على يد الماهر الأشرف السيفي بركمن
 سنة ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م في يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة
 ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م في يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٧ هـ

سورة الفاتحة :
 بسم الله الرحمن الرحيم... أمر بإنشاء هذا السور المبارك ليعمل على
 الملك الظاهر أبو سعيد من نصرة وذلك على يد الماهر الأشرف السيفي بركمن
 سنة ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م في يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٧ هـ

سورة الفاتحة :
 بسم الله الرحمن الرحيم... أمر بإنشاء هذا السور المبارك ليعمل على
 الملك الظاهر أبو سعيد من نصرة وذلك على يد الماهر الأشرف السيفي بركمن
 سنة ١٢١٧ هـ الموافق ١٨٠٢ م في يوم الاثنين الثاني من شهر ربيع الأول سنة ١٢١٧ هـ

النصوص المنقوشة على جدران القاعة

١ — لوحة الباب المدرج وهى من الرخام مناسها حوالى ١٢٥ × ٦٩ سنتى مكتوبة بالنسخ الأيوبى وتشغل تسعة أسطر بتاريخها ٥٧١ هجرية نصها:

”بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بإنشاء هذه التلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة بالعزمية^(١) التى جمعت نفعا وتحصينا وسعة على من اتبعى الى ظل ملكة وتحصيدا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محيى دولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد خليل أمير المؤمنين على يد أمير ممالكهم وعين دولته قراقوش عبد الله الميكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ويوجد تحت هذه الكتابة داخل خرطوش مستدير قطره ٢٥ سنتى تقرىبا سطران بالكوفى المزهر فى حروف متوسطة الحجم كتابة نصها :

”الملك لله“ .

٢ — لوحة تشغل جدران مدخل الباب المدرج ودركاته وباطن قبو المدخل مكتوبة بالنسخ الأيوبى تاريخها ٧١٣ هـ (السلطان محمد الناصر) نصها:

”اللهم أدم الناصر وتمكين والفتح المبين لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن علاون أعز الله نصره (أنصاره) فاتح الأمصار ومبيد الكفار حامى حومة الدين“ .

”عز لمولانا السلطان العالم العادل المجاهد المرابط السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره“ .

(١) العزمية — من المختل عزيمة يقال عزمة تراب أى تل من التراب .

٣ — لوحة رخامية مثبتة بأعلى الكنف على الجدار الغربي للقاعة أسفل
دورة مياه مسجد محمد علي وميدان العلم — في ثلاثة أسطر مكتوبة بالنسخ
الملوكي نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا
وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازي في سبيل الله الحاج الى بيت الله
الزائر قبر رسول الله حصن الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد
الملك منصور وبدؤه في جماد (ي) الأول ، والفراخ في شوال سنة
ثلاث عشر وسبع مائة “ .

٤ — لوحة السلطان رقوق مثبتة على بعد خمسين مترا جنوب باب العزب
المطل على ميدان محمد علي — مكتوبة بخط النسخ الملوكي تاريخها ٥٧٩١ هـ
نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم ... أمر بإنشاء هذا الصور المبارك مولانا السلطان
الملك الظاهر أبو سعيد عن نصره وذلك على يد المقر لأشرف السيفي جركس
الخليلي أمير أخور . الملكي الظاهري بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة احدى
وتسعين وسبع مائة .

(٥) لوحة السلطان جقمق مثبتة بمدخل الباب المدرج — عبارة
عن سبعة أسطر مكتوبة بخط النسخ الملوكي . تاريخها ٨٥١ هـ نصها :

” بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أمر بتجديد سلم هذا المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقبتنا
الامام الأعظم سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محي
العدل في العالمين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان
العرب والعجم صاحب السيف والقلم والبند والعلم فضل من حكم في عصره
بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية والثغور السكندرية

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عن نصره بتاريخ ... من ذى القعدة
الحرام سنة إحدى وخمسين وثمان مائة .

٦ — لوحة السلطان قايتباى مثبتة بمدخل الباب المدرج . عبارة عن
سنة أسطر مثبتة على يمين اللوحة السابقة . مكتوبة بخط النسخ المملوكي
تاريخها "مشوه" نصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطانية من فضل الله وعزته سيدنا
ومولانا ومالك رقبانا سلطان الاسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين
محبي العدل في العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خادم
الحرمين الشريفين مولانا السلطان المالك الملك الأشرف أبو النصر
قايتباى أيد الله ملكه بمحمد وآله وصحبه (عشر كلمات ناقصة) .

٧ — لوحة السلطان طومان باى مثبتة تحت بضعة مستمترات من
اللوحتين السابقتين أبعادها ١٥٠ × ٨٠ سنتي . حروفها أوضح من كتابة
اللوحتين المذكورتين مكتوبة بخط النسخ المملوكي . تاريخها ٥٩٠٦ هـ نصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
أمر بتجديد هذه القلعة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقبانا السلطان المالك
الملك العادل صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفلاع السواحلية
والأقطار الجبازية سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة
والفرض المجاهد المؤيد المنصور صاحب السيف والقلم والبند والعلم
السلطان الملك العادل أبو النصر طومان باى عن نصره بتاريخ شهر
رمضان سنة ست وتسعمائة " .

المغفولة محمد علي الكبير

٨ - في القدم السفلى للقلعة وهو الذي تشغله بعض مخازن سلاح الأسلحة والمهمات الملكي يوجد بورش الخياوية التي يوصل منها إلى المسبك القديم وعلى بابه لوحة تذكارية من الرخام بها أبيات من الشعر بالخطبة هذه ترجمتها :

شيد محمد علي باشا وإلى مصر الشهير

بناء عاليا هنا لصب المدافع

فمنظمت أنا خيرت تاريخه الجوهري

صار هذا البناء المتين العالي طوبخانه^(١)

وخيرت أفندي شاعر وأديب بايع وفد إلى مصر فنال حظوة لدى محمد علي باشا فعينه كاتباً بالديوان العالي في أوائل سنة ١٢٣٧ هـ

أما التاريخ الجوهري فهو حساب الحروف المنقوطة فقط في الشطر أو البيت المنعبر تاريخياً . ومجموع الحروف المنقوطة في الشطر الأخير في النص التركي هو ١٢٣٦ هـ .

وهذا هو النص التركي لهذه الأبيات .

وإلى مصر محمد علي باشا بنام

يابدي طوب دومك ايجون بونده بنای بالا

حیز تا جوهر تاریخى قبلدم تنایم

أولدى طوبخانه بونیان متین ووالا

سنة ١٢٣٦

(١) الطوبخانه هي الدار التي يصنع فيها المدفع .

٩ - الكتابه التركية المنقوشة على مقصورة ساكن الجنان المغفور له محمد
على باشا

فوق باب المقصورة "بسم الله الرحمن الرحيم" وتحت "الاسميلة" إن
رحمه الله قريب من المحسنين

وترجمة الكتابة التي حول المقصورة :

حضرة ... والى ملك مصر مصر (عباس باشا)

أمر بإنشاء هذه المقصورة بلطف الله المنان

كان أودع أمانه هنا في تربه الغفران

جسم الحاج محمد على ساكن الجنان

فوضع جودت تاريخه بحروف مجوهرة

لأنه قام بتليد الأثر الآصف (آصف بن برخيا) القلزي الاحسان

١٠ - الكتابه التركية المنقوشة على باب الدفترخانه

محمد على باشا حاكم مصر الذائع الصيت

صارت طبقات الافلاك التسعة منازل لرفته

وأرض عرشه ملجأ أهل المعارف

والشمس والقمر فراشتان حول شمع إقباله

لقد عمرت يد همته أم الدنيا

فلم تبق ديار خربة الا الخرابات

أطل الله عمره وزاد إقباله فهو الذي

جاهد بشجاعة في سبيل الدين والدولة

انظر هاهو أنشأ لأجل حفظ دفاتر مصر

هذه الدفترخانه المتينة النادرة

فكن يا كاشف^(١) في التفكير في تاريخها

أراق القلم ماء وجهه وقال دفترخانة ١٢٤٤ هـ

١١ - الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة القديم المواجه للدفترخانه

وتاريخها ١٢٤٠ هـ ومطلعها :

خديو الخطة المعمورة أم الدنيا الذي

أشعة نجمة تنير أقطار العالم كالشمس

فلن يصيب صفوف الاسلام غم لأن

نصل خنجره يرد الجواب لأعداء الدين

.....

١٢ - الكتابة التركية المنقوشة على باب الجناح الشرقي لصر الحريم

وقد ذكرناها في الفصل الذي عقدناه للقلعة في عصر محمد علي باشا وتاريخها

١٢٤٣ هـ .

١٣ - الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة وترجمتها :

والى مصر في عهد محمد علي باشا الكريم

خديو أعظم لم يأت في الدنيا مثله

(١) هو كاشف أفندى باشا كاتب جريدة الوقائع المصرية حوالى سنة ١٢٤٤ هـ وعضو

مجلس المشورة العالي

ومن جملة أعماله أن كانت قلعة مصر خراباً

كالعظيم الرميم فجعلها كيصنان إرم

فليحقق الله آماله بالليل والنهار

وليشرح الله صدره في كل آن

وضع عزيز تاريخه في شطرة بعون الله

جدد بناء قلعة مصر في أساسها وجعلها قوية

١٤ — الكتابة المنقوشة بالضر بخانة

لوحة الباب الداخلى — طفرأ مكتوب بها — نصر من الله وفتح قريب
وبشر المؤمنين يا محمد

وحول الطفرأ في الأركان الأربعة :

أبو بكر — عمر — عثمان — علي

وبأسفل الطفرأ

جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد علي باشا^(١) ... مصر حالا
وكان ذلك في عام ١٢٢٧ هـ

١٠ — لوحة الحدو اسماعيل من الرخام مثبتة على حائط السور قبيل
باب الغرب بجانب وعلى يسار كتابة برقوق نفس المقاس مكتوبة بخط
النسخ نهها :

”إله من سليمان ، وإله بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء وتجديد
هذا السور المبارك . خديوى مصر حالا اسمعيل ابن الحاج ابراهيم ابن
الحاج محمد علي فى تاريخ شهر رجب سنة خمسة وثمانين ومائتين والى “ .

(١) يلاحظ أن كلمة والى غير موجودة فى النقش

لوحات حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

١٦ — الكتابة المنقوشة على باب المذبح الرخامي في مسجد محمد علي باشا ونصها :

” أمر بعمل هذا المذبح المبارك حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الصالح فاروق الأول في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة .

١٧ — الكتابة المنقوشة على التريكة الرخامية على قبر جده العظيم وكذلك على شاهد القبر ونص الكتابة الأخيرة :

” بسم الله الرحمن إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون هنا مثوى وإلى مصر ومنقذها ورأس أسرتها المالكة المغفور له محمد علي باشا . ولد نصر الله وجهه بمدينة قولة سنة ١١٨٢ للهجرة النبوية وولى مصر في ١٧ من صفر سنة ١٢٢٠ هـ ولحق بربه في ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ رحمه الله وطيب ثراه وبارك في أسرته التريكة وسلالته العلوية “ .

١٨ — الكتابة المدونة على قاعدة برج ساعة محمد علي نصها :

” في عهد الفاروق وبأمره الملكي الكريم تم ترميم هذا البرج وأصلحت الساعة لمهدة إلى عهد علي من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥ هـ (١٢٦٢ - ١٩٤٣) .

١٩ — الكتابة المنقوشة على مدخل الباب الجديد ونصها :

في عهد حضرة صاحب الجلالة الملك

فاروق الأول

في يوم الخميس ٥ شعبان سنة ١٣٦٥ هجرية الموافق ٤ يوليو ١٩٤٦ ميلادية أنزل العلم البريطاني على هذه القلعة وتسلمها الجيش المصري وفي

يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٣٦٥ هجرية الموافق ٩ أغسطس ١٩٤٦
ميلادية تفضل جلالة الملك فاروق الأول برفع العلم المهدى في جلاليته بيده
الكريمة على هذه القلعة .

٢٠ - الكتابة المنقوشة على أربعة لوحات رخامية مثبتة حول قاعدة
سارية العلم منها لوحتان دونت عليهما أسماء وقائع الجيش المصرى منذ
أيام السلطان صلاح الدين إلى أيام محمد على وعلى إحدى هذه اللوحات
نقشت العبارات الآتية :

” بنعمة الله تعالى رفع حضرة صاحب الجلالة “

فاروق الأول

” ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان و كردفان و دار فور العلم
المصرى خفاقا على هذه القلعة في الثانى عشر فى شهر رمضان عام ١٣٦٥
هجرية الموافق يوم ذكرى وفاة المغفور له جده العظيم محمد على باشا الكبير “
وعلى اللوحة المواجهة لها نقش النطق المسمى الكريم . وقد سبق ذكره

٢ - تحصين القاهرة

١ - الأسوار الفاطمية :

كانت المدن في أغلب أنحاء العالم في الزمن الماضي تحصن بأسوار تقام حولها لصد هجمات المغيرين عليها، ولهذا فنه لما أنشأ القائد جوهر مدينة القاهرة حرص على أن يقيم حولها مـورا سميكا من اللبن وفتح فيه من الأبواب ما رآه ضروريا في ذلك الزمان (١).

وبعد انقضاء ١٢٠ سنة من تأسيس القاهرة رأى أمير الجيوش بدر الجمالي وكان يومئذ وزيراً للخليفة المستنصر أبو تميم معد أن الناس بنوا خارج السور بسبب اتساع العمران ولا سيما في الجهتين البحرية والقبليّة من المدينة فأحاطها بسور وصله بسور جوهر القائد يمينا ويسارا وفتح فيه أبوابا أمام الأبواب القديمة لتكون عوضا عنها .

ولما زاد العمران بعد ذلك واتسعت حدود المدينة أخذ صلاح الدين من سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزيراً للخليفة العاضد عبد الله بن يوسف آخر الخلفاء الفاطميين في بناء سور جديد بالجمر بدلا من أسوارها القديمة التي كانت مبنية باللبن لكي يشمل السور الجديد ما زاد على القاهرة في غربها الى اليل وفي جنوبها الى مصر القديمة واستبقى أبواب بدر الجمالي لأنها كانت مبنية بالحجر .

السور الأول :

يستفاد مما ذكره المقرئ في خططه عند الكلام على سور القاهرة (٢) أن القائد جوهر بدأ من عام ٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م ببناء السور الذي أنشاه من

(١) من مذكرات للزخ مجد بك رمزي ، وكتاب القاهرة للقائمقام عبد الرحمن زكي .

(٢) راجع الخطط المقرئية ج ١ ص ٣٧٧

اللبن على مناخه الذى نزل فيه هو وجنوده حيث القاهرة الآن ثم اداره
على القصر والجامع وأدخل في دائرة سور القصر بئر العظام وجعل القاهرة
حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز، ورتب في القصر جميع ما يحتاج
اليه الخلفاء .

ومن جهة تعيين موقع السور وحدوده ، فإنه يستفاد مما ذكره المقريزي
عند الكلام على باب النصر و باب الفتوح و بابي زويلة القديمين و باب
زويلة الحالى و باب البرقية و على جامع الحاكم و حارة بهاء الدين و على غير
ذلك من المباني التي أقيمت بين هذا السور و سور بدر الجمالى ، يستفاد من
كل ذلك أن مدينة القاهرة القديمة التي أنشأها جوهر القائد كانت واقعة
بين مباني القاهرة الحالية وكانت محاطة بسور من جهاتها الأربع في المنطقة
التي تحدد اليوم من الجهة البحرية بخط يبدأ على رأس حارة الوسايمة من
جهتها الشرقية حيث كان يبدأ السور البحرى ثم يسير الى الغرب حتى
يتقابل بشارع باب النصر عند نقطة واقعة على مبهدة عشرين مترا الى شمال
جامع الحاج محمود الحنولى المعروف بجامع الشهداء ، حيث كان يقع في تلك
النقطة باب القدس الذى كان بداخل باب النصر . ومن هناك يسير السور
الى الغرب حتى يتقابل بشارع المعز لدين الله (شارع باب الفتوح سابقا)
على رأس مدخل شارع بين السيارج حيث كان يقع في تلك النقطة باب
القوس الذى كان داخلا في باب الفتوح ثم يمتد السور في مكان الوجهة
البحرية للباني الواقعة في شارع بين السيارج الى نهايته الغربية عند نقطة
تجاه جامع حسن الزركشى وكان السور البحرى لمدينة جوهر ينتهى عند
تلك النقطة .

وكان السور الغربى يبدأ من النقطة المذكورة ثم يسير متجها الى الجنوب
الى أن يصل الى رأس شارع أمير الجيوش الجوانى حيث يقع باب القوس
الذى كان بداخل باب القنطرة ثم يسير السور الى الجنوب في مكان
الوجهة الغربية للباني الواقعة بشارع الشعراى البرانى و شارع بين السورين
و شارع بين النهدين الى باب الخوخة على رأس شارع قبو الزينة

ثم يمتد السور بعد ذلك بالوجهة الغربية لمبانى شارع جامع البنات إلى أن ياتقى برأس شارع الاستئناف الحالى حيث كانت خوذة الأمير حسين ثم يسير السور جنوبا إلى حيث مبنى محكمة الاستئناف على مبعدة ٢٠ مترا جنوبى مدخل الاستئناف وعلى بعد عشرة أمتار فى شمال الباب الغربى لمحكمة الاستئناف . وعند تلك النقطة كان يقع باب سعادة وهو آخر السور الغربى لمدينة جوهري .

وكان السور القبلى يبدأ من الكتف القبلى لباب سعادة ثم يسير إلى الشرق إلى شارع المنجولة من الجهة القبلىة ثم يمتد إلى شارع المنجدين من الغرب وبين شارع المعز لدين الله (شارع المناخلىة سابقا) من الشرق وكان يقع بابا زويلة القديمان اللذان أنشأهما جوهري بعضهما فى السور القبلى تجاه جامع سام بن نوح وفى الجامع المذكور يمتد السور القبلى حتى يصل إلى دواب المحروق ، وإلى هذه النقطة ينتهى السور القبلى .

وكان السور الشرقى يبدأ من النقطة الميمنية بالخريطة ثم يمتد إلى الشمال حيث موقع باب البرقية الأولى ، ثم يمتد من تلك النقطة إلى الشمال حتى يتلاقى بالسور البحرى عند النقطة التى يحدها اليوم برج الظفر .

هذه هى مواقع السور الذى أنشأه جوهري القائد حول مدينة القاهرة الأصالية وليس لهذا السور أثر اليوم فى أية نقطة من جهاته الأربع التى كانت تحيط بالمدينة المذكورة حسب التحديد الذى ذكرناه .

السور الثانى :

٢ - سور بدر الجمالى

يستفاد مما أورده المقرئزى فى خططه لدى الكلام عن أسوار القاهرة فى أيام الدولة الفاطمية^(١) أن السور الثانى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى

(١) الخطط المقرئزية الجزء الأول ص ٣٧٩

في سنة ١٠٨٧هـ - ١٠٨٧م وزاد فيه من الشمال الزيادة التي بين بابي القوس
الذين أنشأهما جوهر القائد في سور القاهرة البحري وبين السور الحالى
الذى فيه باب النصر وباب الفتوح الحالىين ، ثم أضاف فيه من الجهة الجنوبية
الزيادة التي فيما بين بابي زويلة القديمين الذين أنشأهما جوهر في سور
القاهرة القبلية وبين السور الذى فيه باب زويلة الحالى وجعل بدر الجمالى
الأسوار التي أنشأها من اللبن وأقام الأبواب من حجارة .

هذا هو ملخص تاريخ بناء السور الثانى . وأما من جهة تعيين موقعه
وحدوده فإنه يستفاد مما قاله المقرئى ، عند الكلام على باب النصر وباب
الفتوح وباب زويلة وعلى جامع الحاكم وعلى حارة بها الدين وعلى السور
الثالث الآتى ذكره الذى أنشأه صلاح الدين يستفاد من كل ذلك أن
الزيادة التي برز بها بدر الجمالى في الجهة الشمالية من سور جوهر هي التي
تحد اليوم من الشمال بالسور الحجري الموجود الآن الذى يبدأ من النقطة
الذى يشغلها اليوم برج الظفر ، ثم يسير إلى الغرب إلى أن يصل إلى باب
النصر ثم إلى باب الفتوح وينتهي السور البحري بحسب وضعه ورسمه المبين
على الخريطة .

وتحدد هذه الزيادة من الغرب بسور كان يمتد إلى الجنوب التي يبدأ منها
السور الغربى لمدينة جوهر .

وتحدد من الجنوب بسور جوهر المبين على الخريطة ، وتحدد من الشرق
بسور من اللبن كان يمتد من النقطة التي في أول الحد الشمالى من الشرق ،
ومنها يسير إلى الجنوب بشكله المتعرج المبين على الخريطة .

وأما الزيادة التي برز بها بدر الجمالى في الجهة الجنوبية من سور جوهر
فتحدد اليوم من الشمال بسور جوهر المبين على الخريطة ، ومن الغرب بسور
من اللبن ، ثم يسير إلى الجنوب حيث كان موقع باب الفرج ، ويعاود
سيره إلى الجنوب حتى ينتهى السور الغربى لهذه الزيادة عند موقع باب

الخلق ، وتحد من الجنب بسور من اللبن يسير إلى الشرق في مكان الوجهة القبلية للباني القائمة بالجهة الشمالية من شارع تحت الربع إلى أن يصل إلى النقطة حيث يقع باب زويلة الحالي ، ثم يمتد السور إلى الشرق عند مدخل حارة الروم حيث كان موقع خوخة ايدغمش ثم يمتد إلى الشرق من هذه النقطة إلى جهة الشرق في مكان الوجهة القبلية للباني الواقعة بجزء من شارع الدرب الأحمر ثم الواقعة في حارة سدة الله ومنها تمتد إلى حيث ينتهي الحد القبلي عند البرج الذي يتبعه المارئي على السور المبين على خريطة القاهرة الحامية . وتحد من الشرق بسور القاهرة الحالي المبين على الخريطة .

وأنشأ بدر الجمالي أسواره باللبن ما عدا الجزء الواقع بين بابي الفتحة والنصر فهو بالحجر إلى اليوم . وكذلك الأجزاء الواقعة على جانبي البابين المذكورين وعلى جانبي باب زويلة فهي بالحجر على مسافة ١٢٠ متراً تقريباً من كل جانب ، وقد زل أثر الأسوار التي أنشأها بدر الجمالي باللبن ، وأقام صلاح الدين في مكانه بعض أجزاء منها أجزاء أخرى بالحجر في سورته الثالث الذي سنتكلم عنه .

تحصين القاهرة

٣ — في عهد السلطان صلاح الدين

قال ابن أبي طي : أنه في سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) شرع السلطان صلاح الدين في عمارة سور القاهرة لأنه قد تهدم أكثره . وصار طريقاً لا يرد داخل ولا خارجاً . وولاه لوزيره بهاء الدين قرافوش (١) . ويقابلنا نص آخر أكثر وضوحاً لعبد الدين ، كاتب سر صلاح الدين ، وهو شاهد معاصر كانت وثائق الدولة في متناول يديه . وقد جاء فيه : " كان السلطان لما تمك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعهما فتعال إن افردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند

مفرد يحميها . واني أرى أن أدير عليها سورا واحدا من الشاطئ إلى الشاطئ وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم . فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقطم وانتهى به إلى أعلى مسر يروج وصلها بالبرج الأعظم . ووجدت في عهد السلطان بيت رفعه النواب (النائب عن السلطان) وتكمل فيه الحساب ومبلغه . وهو دار البلدين مصر والقاهرة بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألفا وثلاثمائة وذراعان (بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي) . من ذلك ما بين قلعة القسم (المقس) على شاطئ النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع . ومن المدة بالقسم (قلعة المقس) إلى حائط اللعة بالجبل بمسجد سعد الدولة مائة ألف وثلاثمائة وأمان وتسعون ذراعا . ومن جانب حائط اللعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتان ذراع ودائر القلعة (من وراء المدة) بحيال مسجد سعدا ونة ثلاثة آلاف ومائتان وعشر أذرع وذلك طول قرسه في أ. أنه رأب راجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعويل وذلك بالذراع الهاشمي .

والمعروف أن الذراع الهاشمي يادل ٦٥٢ من المتر .

وقد ذكر المؤرخ أبو شامة صاحب كتاب الروضتين ، عند ما أورد الكلام عن القلعة ، نص ابن أبي طي في الفصل الذي أتى فيه الكلام عن حوادث عام ٥٦٦ هـ ، ثم أورد نص عماد الدين عن القلعة في حوادث عام ٥٧٢ هـ .

ولم يفت المؤرخ المقرئ أن يذكر التاريخين بدون تعليق . وروى الأستاذ كازانوف أن صلاح الدين بدأ يفكر في بناء السور عام ٥٦٦ هـ ، ثم عدل مشروعه عام ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) عقب حملته إلى الشام ، وهذا الرأي هو نفس ما ذهب إليه الأستاذ كزويل . أي أن عمارة سور القاهرة الثالث لم تستهل إلا في سنة ١١٧٦ م .

الصور الثالث :

ابتدأ السلطان صلاح الدين عمارة السور الثالث للقاهرة سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزير الخليفة العاضد لدين الله ، وفي عام ٥٦٩ هـ انتدب الطواشي بهاء الدين قراقوش الأسدي لعمل السور فبناه بالجحارة على ما هو عليه الآن ، وأراد أن يجعل على القاهرة ومصر (مصر القديمة) والقلعة سورا واحدا ، فزاد في سور القاهرة الجزء الممتد من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، ومن قلعة المقس في نهاية السور البحرى على النيل بجانب جامع المقس ، وانقطع السور من هناك ، وكان أمله أن يمد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر (مصر القديمة) ثم زاد في سور القاهرة الجزء الذى يلى باب النصر إلى برج الظفر ، ومن هذا البرج إلى باب البرقية ومنه إلى درب بطوط وإلى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل . فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة .

وقد ذكر المقرئى أن طول السور المحيط فى أيامه بلغ ٢٩٣٠٢ ذراعا (بذراع العمل) وهو الذراع الهاشمى .

شرع صلاح الدين فى سنة ٥٦٦ هـ فى بناء السور الغربى للقاهرة على الحافة الشرقية للخليج المصرى فى محاذة سور بدر وسور جوهر وعلى مبعدة قليلة منهما إلى جهة الغرب وأقام صلاح الدين فعلا قطعة من السور الغربى وهى الممتدة من النهاية الغربية لسور بدر إلى البحرى ومتجهة نحو الجنوب إلى باب القنطرة الذى أنشأه صلاح الدين فى السور الغربى المذكور تجاه باب القوس الذى كان يعرف بباب الرماحين .

رأى صلاح الدين أن يزيد فى سور المدينة البحرى ويمده إلى الغرب ، ثم بنى سورها الغربى على النيل بدلا من الخليج

وذلك لكي يدخل في السور القسم الذي استجد خارج القاهرة في الجهة الغربية منها ، بين الخليج والنيل ، ولكي ينفذ هذا المشروع أو وقف بناء السور الغربي على الخليج بعد باب القنطرة .

وفي سنة ٥٦٩ هـ شرع بهاء الدين قراوش في مد السور البحرى من باب الشعرية إلى باب البحر بالمقس ، وأغنه فعلا ، وأراد أن يبنى السور الغربى لقاهرة على النيل من باب البحر إلى فم الخليج ، ليوصل سور القاهرة بسور مصر القديمة ، ولكن وفاة صلاح الدين حالت دون ذلك . وقد اندثر أغلب سور صلاح الدين والباقي منه مبين على خريطة القاهرة الحالية في الجهات الآتية .

(أولا) إن القطعة التى كان قد أنشأها صلاح الدين في السور الغربى من السور البحرى إلى باب القنطرة في محاذة الخليج ، هذه القطعة هدم أغلبها ولم يبق منها إلى وقتنا هذا سوى قطعة طولها ١٢٠ مترا كانت ممتدة من النهاية الغربية للسور البحرى ثم تسير جنوبا في محاذة حارة المسطاحى . فلما فتح شارع الأمير فاروق في سنة ١٩٣٠ هدمت هذه القطعة ودخلت أرضها في امتداد الشارع المذكور ولم يبق منها إلا جزء صغير طوله نحو عشرة أمتار ولم تزل إدارة حفظ الآثار العربية محتفظة بهذا الجزء للإرشاد إلى موقع السور القديم .

(ثانيا) إن السور البحرى الذى كان ممتدا بين باب الشعرية الذى يعرف الآن بباب المدوى وبين باب البحر الذى يعرف الآن بباب الحديد بميندان باب الحديد ، وكان قائما إلى زمن دخول الفرنسيين بمصر سنة ١٧٩٨ م ، وبعد ذلك اعتدى الأهالى على هذا السور فهدموا معظمه ولم يبق منه سوى بعض أجزاء لا تزال قائمة بلصق المساكين ومبينة على خريطة القاهرة الحالية مقطعة من الشرق إلى الغرب إلى قطاع من السور ممتدة بين المساكين الراقعة في المنطقة التى تحد اليوم من الشمال بسكة الفجالة وشارع الفجالة ومن الجنوب بشوارع بين الحارات والشمسبكي

والطابطة ، ومن الشرق بميدان المدوى وفي هذا الميدان كان موقع باب
الشعرية ويليه إلى جهات الغرب الأجزاء الباقية من السور المذكور .

(ثلثا) السور البحرى الذى فيه باب الفتوح وباب النصر سبق أن
تكلمنا عنه فى السور الثانى . وفى أيام صلاح الدين تجدد بناء بعض الأجزاء
بالحجر بدل اللبن كما يشاهد إلى اليوم فى السور البحرى .

ولما فتح شارع الأمير فاروق فى سنة ١٩٣٠ م أخذ فى طريقه جزءا
صغيرا وبذلك أصبح السور البحرى ينتهى من الغرب بشارع الأمير فاروق
على رأس شارع درب البرازة . وقد ثبت على طرف السور عند تلك النقطة
المشرفة على شارع الأمير فاروق لوحة من الرخام مكتوب عليها بالنقش
هدم جزء من السور لفتح الشارع المذكور فى سنة ١٩٣٠ م ، فى عهد
المغفور له الملك فؤاد الأول .

وابتدا السور البحرى فى أيام صلاح الدين إلى جهة الشرق حيث موقع
برج الظفر ولا يزال يوجد من هذه الزيادة جزء من سور القسم الشرقى
المجاور لبرج الظفر .

(رابعا) أما السور الشرقى لمدينة القاهرة فلا يزال يوجد منه بعض
أجزاء قائمة إلى اليوم ، منها الجزء الذى يتسد من برج الظفر يتجه جنوبا
بطول ٤٠٠ مترو يناؤه متخرب ، وتتولى إدارة حفظ الآثار العربية الآن
ترميمه وإصلاحه ، وفى هذا الجزء يقع الباب الحديدى أحد أبواب القاهرة
القديمة ، ومن السور المذكور الجزء الذى يبدأ من برج درب المحروق
ويسير إلى الجنوب بطول ٧٦٠ مترا إلى أن ينقطع خلف زاوية الشيخ
مرشد بشارع باب الوزير . وهذا الجزء هو أطول الأجزاء القائمة من
السور الشرقى وحائطه أغلبها سليم إلى اليوم ومنه جزء آخر يمتد إلى الجنوب
بين الحائفة النظامية (جامع النظامى وقد خرب) وبين بقايا جامع السبع
سلاطين (خرب) وطول هذا الجزء ١٢٥ مترا ، ويتصل من نهايته
الجنوبية بسور القلعة .

وأما الباقي من السور الشرق ، وهو الجزء الذى يمتد من قلعة الجبل الى سور مدينة مصر فانه لما تكلم المقرئ عن السور الثالث (ج ١ ص ٣٧٩) قال إن صلاح الدين لم يهيا له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مدينة مصر . ولكنه تحدث عن أبواب القنطرة الواقع جنوبى مدينة مصر وهذا دليل على بناء السور فى الفترة المذكورة .

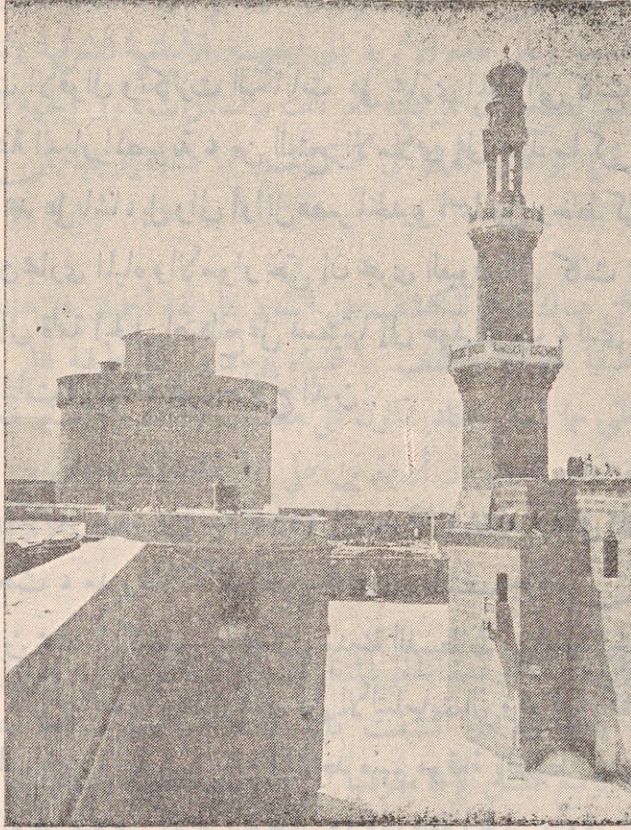
وباب القنطرة هذا هو غير باب القنطرة الذى يسمى خطأ باسم باب الشعرية بالماهرة .

ولما كان صلاح الدين قد عنى بصفة خاصة ببناء السور الشرق للقاهرة من برج الظفر الى القلعة كما عنى أيضا ببناء سور مدينة مصر ، فأنى أرحم الراى الذى ذكره المقرئ فيما يخص بمد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة ، أى الى مدينة مصر ، يؤيد ذلك وجود الحائط (العيون) التى كان يجرى من فوقها الماء فى المسافة من باب القرافة الى سور مدينة مصر ، وكان هذا الحائط قبل ذلك من سور القاهرة ، ثم بنى فوقها قناة لنقل الماء ، من النيل الى قلعة الجبل .

ويتبدى مما ذكر أن كماله السور الشرق للقاهرة فى المسافة ما بين قلعة الجبل وسور مدينة مصر لا يزال يوجد من آثاره حائط المجرى (العيون) القائمة الى اليوم من باب القرافة بالناهرة الى نقط تلاقيها بمحائط العيون الممتدة الى مصر القديمة عند الزاوية القبلىة الشرقية فى جبانة السيدة نفيسة الجديدة .

ويرى القارئ مما ذكرناه نقلا عن القلقشندى أنه قال : أن السور الذى أنشاه صلاح الدين ما بين باب البحر والكوم الأحمر برأس منشاة المهرانى التى عند فم الخليج قد سقط . وبالبحت تبين لنا أن هذا السور كان صلاح الدين عازما على اقامته على شاطئ النيل غربى القاهرة من ميدان باب الحديد الى فم الخليج المصرى ، ولكنه لم ينشأ بدليل ما ذكره

المقريزى وهو أن صلاح الدين زاد في سور القاهرة القطعة التى من باب
الشعرية الى باب البحر وبين قلعة المقس في نهاية السور البحرى على النيل



(شكل ٤ - احدى مآذنى جامع الناصر)

بجانب المقس وانقطع من هناك وكان أمله أن يمد السور من المقس الى
أن يتصل بسور مصر القديمة من جهة فم الخليج ولكن هذا الأمل لم يتحقق
لوفاة صلاح الدين رحمه (١)

(١) يراجع هامش الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧ من كتاب النجوم الزاهرة .

سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة

تعددت الأقوال وتكاثرت الكتابات على مجارى المياه التى كانت تجلب المياه لعاصمة الديار المصرية ، من النتح الاسلامى إلى عهد ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا ، بل وإلى أوائل عصر الخديو اسماعيل وخط كثير من الكتّاب بين مجارى المياه والأسوار حتى إن مجرى العيون التى كانت توصل مياه النيل إلى قاعة الجبل اصطاح على تسميتها إلى عهد قريب ، لدى العامة وفى المكنانات الرسمية ، مجرى صلاح الدين .

وفى العهد القريب ، من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٩ ، وفق المرحوم على بك بهجت ، مدير دار الآثار العربية ، إلى كشف جزء من سور صلاح الدين يحد ما كشفه من إطلال مدينة الفسطاط من الجهة الجنوبية الشرقية ، فأزاح الغموض عن كثير من الألباسات التى وقع فيها كثير من المؤرخين السابقين ، الذين لم يبين لنا أحد منهم موقعة بالضبط . ولكن المنية عاجلته فلم ينته من كشف بقية السور إلى قلعة الجبل ، وقد اكتفى قبل إخراج مؤلفه عن حفريات الفسطاط بعمل مجسات بسيطة على امتداد الجزء المكتشف إلى أن بلغ مجرى العيون .

وعندما تولى إدارة دار الآثار العربية الأستاذ المسيو جاستون فييت اقترح المرحوم الأستاذ حسن الهوارى ، أحد الأمناء ، الاسترسال فى كشف السور من المنطقة التى تركها بهجت بك متجهين إلى الجهة البحرية حيث قلعة الجبل فوافق مسيو جاستون على هذه الفكرة .

وبدأ العمل بطريقة فنية وتوالى الحفر بعناية زائدة فوق موقع السور من آخر جهة يروح فيها . وكان العمال يحفرون حتى يبلغوا الصخر ، لأن المنطقة التي بها اطلال الفسطاط وسور صلاح الدين صخرية ، فاذا ما بلغ العمال الصخر توقفوا عن العمل ووجهوا جهدهم الى تنظيف السور وعمل صندوق أمامه ونقل هذه الأتربة الى الجهة الأمامية الشرقية وتنظيمها بشكل جسر يصلح لأن تمر عليه العربات والسيارات ، وفي الجهة الداخلية (الغربية) يواصل العمال في الكشف عما عساه يوجد من دور الفسطاط .

ولم يكن هناك داع للكشف عن السور بطريقة أخرى غير هذه كرفع الأتربة طبقة طبقة وكشف ما عساه يوجد في كل طبقة على حدة ، بالمنطقة التي بها السور تكاد تكون على منسوب واحد ، وعثر العمال على السور بعد الحفر لعمق متر أو مترين على الأكثر وأحيانا أقل من المتر ، فلا توجد هناك طبقات تستدعي استخدام النظريات الأركيولوجية العويصة .

وقد كان من نتائج هذا الحفر المنظم أن كشف الأستاذ جزءا من السور يبلغ طوله ٨٤١,٣٥ مترا كشفت كلها كشفا تاما فظهرت فيه انحناءات لم يكن في الوسع قبل الآن معرفتها كما ظهرت عدة دعائم ذات اشكال نصف دائرية لتقوية السور على أبعاد متقاربة البعد .

وانما يلي بيان تفصيل لما كشفه بهجت بك وما وفق الأستاذ الهواري الى كشفه :

ما كشفه بهجت بك

بيان

متر

٢٥,٠٠ جزء مستقيم من السور من أوله (الجهة الغربية) .

بحرى السابق .

١٧,٠٠

بيان	متر
دعامة .	٦,٠٠
باب .	٥,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣٨,٠٠
» »	٤٦,٠٠
دعامة .	٨,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٠,٠٠
» »	١٣,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٣,٠٠
كسربة .	١١,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣١,٠٠
جملة ما كشفه جهجت بك .	٣٥٧,٠٠

ما كشف بعد وفاة جهجت بك :

بيان	متر
جزء من السور مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة	١٢٢ ٣٥,٠٠
	١٥,٠٠
	٧٢,٠٠
الدعامة رقم (١)	٥,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٥,٠٠ ٢٠,٠٠
محصور بين الدعامين رقم (١ و ١) .	٥٥,٠٠
الدعامة رقم (١)	٦,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٠,٠٠ ٣٠,٠٠
محصور بين الدعامين رقم (٢ و ٣) .	٤٠,٠٠

بيان	
٦,٠٠ الدعامة رقم (٣) .	
٨٠,٠٠ جزء من السور مركبا من ثلاثة خطوط مستقيمة	٤١,٠٠
محصورة بين الدعامين (٣ و ٤) .	٣٠,٠٠
٧,٠٠ الدعامة رقم (٤)	١٩,٠٠
٦٨,٠٠ جزء من السور مركبا من ثلاثة خطوط مستقيمة	١٥,٠٠
محصورة بين الدعامين (٤ و ٥)	٣٨,٠٠
٦,٠٠ الدعامة رقم (٥)	٢٥,٠٠
٦٣,٣٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور	
بين الدعامين (٥ و ٦)	
٦,٠٠ الدعامة رقم (٦)	
٥٩,٢٥ جزء من السور عبارة عن ثلاثة خطوط مستقيمة	١٩,٢٥
محصور بين الدعامين (٦ و ٧)	١٦,٠٠
٧,٠٠ الدعامة رقم (٧)	٢٤,٠٠
٦٣,٥٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين	
الدعامين (٧ و ٨)	
٩,٣٠ الدعامة رقم (٨)	
٦٥,٥٠ جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين	
الدعامين (٨ و ٩)	
٦,٠٠ الدعامة رقم (٩)	
٦٣,٥٠ جزء من السور عبارة عن خطين مستقيمين محصور	٤٠,٠٠
بين الدعامين (٩ و ١٠)	٢٣,٥٠
٦,٩٠ الدعامة رقم (١٠)	
٤٦,٠٠ جزء مستقيم من السور .	

٨٤١,٢٥

وتكون جملة المكتشف من السور $٨٤١,١٥ + ٣٥٧,٠٠ = ١١٩٨,٢٥$ مترا

ومما يذكرون أن بهجت بك كان يروم أن يدرس سور صلاح الدين على حدة في بحث خاص ، كما يستدل على ذلك من كلامه من كتاب حفريات الفسطاط حيث قال في آخر باب من أبواب هذا الكتاب ما نصه :

”وان أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور (سور صلاح الدين) مما كان أعد لحماية الفسطاط من الجهة الشرقية وسدين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع وكيف نفذ وندرس تفاصيل بنائه“.

إلا أن المنية عاجته فلم يستطع تحقيق أمنيته .

والآن وقد ظهر من السور جزء كاف يمكننا من تحديد أبعاده على وجه كاف من الدقة لأن ما ظهر بجوار أطلال الفسطاط بين لآ زاويته القبليّة الشرقية وزاويته البحريّة الشرقية محدودة ببرج الظفر والجدار الغربي كان محاذيا لمجرى النيل في عهد صلاح الدين .

كان كازانوف ، الأثرى المعروف ، قد تسنى له في سنة ١٨٩١ عندما كتب عن (تاريخ قلعة القاهرة ووصفها) برسطة النصوص التي أوردتها المقرئى من تعيين تخطيط هذا السور تعيينا اقراضيا وقد حققت الحفريات ظنونه ، وقد صرنا الآن في مركز أحسن بكثير نظرا لكثرة الأجزاء التي كشفت من هذا السور .

فعلاوة على الجزء الذي كشفته دار الآثار العربيّة في عهد الميسو فييت فإن هناك أجزاء أخرى أظهرها الكشف عن سطح الحاجز الجارى تحت إشراف الدار أيضا ، وهذه الأجزاء واقعة من الجهة القبليّة من أطلال الفسطاط ، وهى على صغر أطوالها فقط هامة لأنها تبين ميل السور في هذه الجهة واتجاهه نحو شاطئ النيل .

والى شمال القاعة وفي الجهة الشرقية ، ثم كشف جزء عظيم على امتداد الجناح الشرقى لبرج الظفر بفضل الأستاذ كريستوبل .

وفضلا من سور السلطان صلاح الدين فقد ظهر جزء عظيم من سور القائد بدر الدين الجمالى فى الجهة البحرية من القاهرة الفاطمية ، بين باب الفتوح والخلج المصرى ، وقد هدمت منه مصلحة التنظيم الجزء الذى اعترض شارع الأمير فاروق الحديد ، وهذا الجزء من السور كان فى حالة حسنة على عهد صلاح الدين وكان لا يزال هو الحد البحرى لمدينة القاهرة ولم تمتد المدينة إلى الجهة الشمالية بل اكتفت بالأرض الفضاء الغربية التى تخفت عن انحراف مجرى النيل مما كان سببا لاستبقاء سور بدر الجمالى حدا بحريا ومدته فقط من الجهة الشرقية إلى برج الظفر ومن الجهة الغربية إلى شاطئ النيل الجديد .

وقد ظهر فى أوائل القرن العشرين بابان من أبواب سور القاهرة الذى بناه بدر الجمالى أولهما باب التنطرة وقد أصلحت لجنة الآثار برجيه وعلمت حوله خندقا ولكنها عادت وردمته لأنه كان معيقا لحركة المرور ، ومن جهة أخرى فقد أخذ العامة يلتمون أتربتهم وأوساخهم فى الخندق مما جعل منظره قذرا واستدعى ردمه ، والثانى باب البرقية واقع على الشارع الماروف بشارع قطع المرأة الموصل إلى قرافة المجاورين وقد ردمته مصلحة التنظيم أيضا من أجل إصلاح الشارع .

على أن هذين البابين لا أهمية لهما فى فحص سور صلاح الدين لأنهما ليسا منه بل من سور بدر الدين الجمالى ولم يستعملهما صلاح الدين .

وهناك نقطة أخرى حققها بهجت بك وهى أن الجزء الشرقى من مجرى العيون ابتداء من التقاء هذه المجرى بسور صلاح الدين مشيد على بقايا سور صلاح الدين .

ولكن الآن قد أصبح لدينا عدة نقاط من سور صلاح الدين تحدد على وجه قريب جدا من الدقة موقعه الأصيل وتبين مقدار طوله .

١ — جزآن صغيران من السور واقعان بين المحاجر فى الجهة القبلىة من أطلال الفسطاط .

٢ — الجزء الذى يحدد أطلال الفسطاط ومن الجهة الشرقية وجملة طوله ١١٩٨,٢٥ مترا منها ٣٥٧٠٠ مترا كشفها بهجت بك و ٨٤١٢٥ مترا كشفها الهوارى وبه باب واثنى عشر دعامة (لم يكن مكشوفاً منه عند ما كتب الكتابين كريسويل وصفه الرجز إلا ٣٥٧ مترا) .

٣ — جزء ضائع هدمه عمال المحاجر ولم يتبق منه شيء مطلقاً يبلغ طوله وكان على امتداد الجزء السابق الى الشمال .

٤ — جزء لم يكشف بأجمعه ولكن بهجت بك عين فيه عدة نقاط بحسبات عملها على امتداد الجزء المكشوف .

٥ — جزء من السور أقيم فوقه جزء طويل من مجرى العيون وهو المجاور لقلعة الجبل .

٦ — جزء كبير من السور مشيد فوقه عدة مساكن من قرب باب الوزير الى قرب الدراسة .

٧ — النهاية البحرية من الجانب الشرقى للسور وتتمى برج الظفر .

٨ — جزء يبدأ من برج الظفر متجهاً الى الجهة الغربية حيث يختفى السور تحت الأتربة .

٩ — جزء يتبدى من نقطة اختفائه تحت الأتربة الى باب النصر .

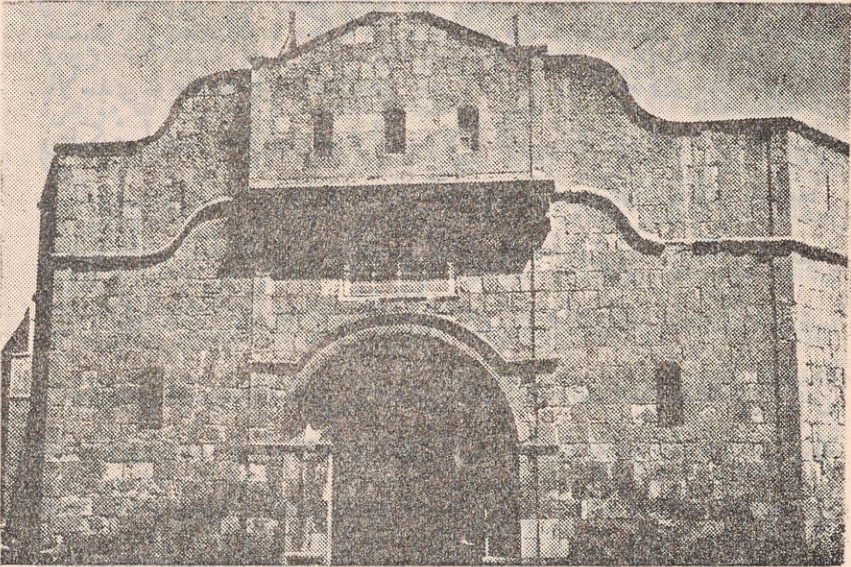
١٠ — من باب النصر الى برج سلم باب الفتوح وطوله ٢٥٨ مترا و ٦٩٠ سنتيمتراً .

١١ — من باب الفتوح الى شارع الأمير فاروق .

١٢ — عرض شارع الأمير فاروق .

١٣ — من الضفة الغربية لشارع الأمير فؤاد إلى جامع أولاد عنان وهذا الجامع في موضع جامع النفس الذي كان مشرفاً على النيل وبه عدة أجزاء بين المساكن مرسومة في خريطة القاهرة (١ : ٥٠٠٠) ذكرها الأستاذ كريزويل .

١٤ — الجزء المحاذي للنيل من جامع القس إلى فم الخليج .
فاذا جمعنا هذه الأربعة عشر جزءاً بعضها إلى بعض ألفينا أن طول سور صلاح الدين كان ٢٥٠٠ كيلومتراً تقريباً به جزء صغير في الجهة البحرية من سور بدر الدين الجمالي وهي من الخليج المصري إلى شرق باب النصر (١) .



(شكل ٥ — الباب الثاني للقلعة "عصر محمد علي")

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧

أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين^(١)

مشيد القلعة

لا تسكد مصادر التاريخ تذكر شيئا واضحاً عن نشأة قراقوش ، إذ كل ما يعرف عن نشأته أنه فتي رومي خصى ، ولد ببلاد آسيا الصغرى ، وكبر بها ثم اتصل بأسد الدين شيركوه ، وكان هذا الضابط يعمل هو وأخوه نجم الدين أبوب في خدمة ملك عظيم من آل زنكي ، هو عماد الدين المعروف بالشهيد ، ثم مات هذا الملك ، وخلفه على حكم الشام ولده نور الدين محمود ، فقرب هذين الضابطين الأخوين ، واستفح بهما انتفاعا عظيما .

وفي دمشق تسمى الفتى الخصى باسم بهاء الدين عبد الله الأسدي ، نأما تسميته بابن عبد الله ، فكناية عن أنه لا يعرف له أب مسلم ، وأما وصفه بالأسدي ، فنسبه إلى أسد الدين شيركوه ، ولعله اشترى هذا الفتى بماله وتملكه ثم أعنته ، أو لعله نسبته لنفسه لأن الفتى أسلم على يده ، والولاء كان في العرف بطرق ، من أهمها هاتان الطريقتان ، وكثيرا ما يكون بهما معا . ثم لما مات أسد الدين ، واتصل الفتى بخدمة ابن أخيه صلاح الدين ، صار يدعى بهاء الدين بن عبد الله الأسدي الناصري .

والظاهر أن رجال الجيش في دمشق كانوا قد أنسوا من هذا الفتى الرومي رشدا ، ووجدوا في أخلاقه ميلا إلى الشدة والصلابة ، والقدرة على مواصلة العمل فأدنوه منهم ومنعوه الرتب العسكرية التي شجعته على خدمتهم ، وضرىوا به المل في الصبر والجلد والمثابرة ، فما لبث بهاء الدين قراقوش أن أصبح أميرا من أمراء الجيش ، الذي كان يرأسه أسد الدين شيركوه ، وهو الجرحى الذي دخل مصر يوم دعى نور الدين إلى التدخل في شؤونها ، وإلى تهدة الأحوال بها ، ثم إلى ضمها بحملة إلى التاج الأتابكي ، فذهب إليها أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، وبصحبتهم ذلك الفتى الرومي ، الذي

(١) قراقوش ومعناها بالتركية الطائر الأسود — ابن خلكان (الجزء الأول — ص ٥٤٣)

شهد بعينه انهيار الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية ، وكان دعمه من الدعائم التي قامت عليها هذه الدولة الفتية الناشئة .

قراقوش في حراسة القصر الفاطمي

وفي عام ٥٦٤ هجرية اضطرب رجال القصر الفاطمي ، وعمهم الذعر والفزع ، وسعى بينهم من حذرهم عاقبة الوزارة الجديدة ، وهي وزارة صلاح الدين ، ووقفهم على نيات هذا الرجل الخطير ، وألمها يومئذ تفكيره في إزالة الدعوة الفاطمية وإقامة الدعوة الباسية .

وإنه لأمر خطير حقا ، أن تزول دولة وتقوم دولة ، أو أن يسقط عرش ويحل محله عرش ، ومن أجله دبرت المؤامرات في داخل القصر وخارجه ، وأخذت هذه المؤامرات تظهر واحدة فواحدة ، وكانت أولاها مؤامرة داخل القصر الفاطمي ، دبرها خصي أسود اسمه "المؤتمن" ، أراد بها إسقاط صلاح الدين والقضاء على جذره وعلى من أتوا معه من أهله وعشيرته . وكاد النجاح يكتب لهذه المؤامرة لولا ذكاء القاضي من ناحية ، ولولا سيف الملك شمس الدولة بن أيوب وهو الأخ الأكبر لصلاح الدين من ناحية ثانية .

في هذه الآونة فكر المؤتمن ورجاله أن يملأوا أيديهم من ذخائر القصر الفاطمي التي توشك أن تضيع منهم إلى الأبد ، وكان من أغراضهم في ذلك أن يستعينوا ببعض ثمنها على تشجيع الجنود ، وتوفير المال اللازم لرجال المؤامرة .

عرف ذلك الوزير صلاح الدين ، فلم يمض وقتا طويلا حتى هداه تفكيره إلى خدمة الأمين ، وصديقه الغيور ، بهاء الدين قراقوش ، فجعله متولى القصر الفاطمي ، يحرسه ويصون ذخائره ، على كثرتها ودقتها وسهولة حملها وإمكان إخفائها .

ثم مات الخليفة الفاطمي ، وكان صلاح الدين قد انتهى من قطع اسمه من الخطبة وذكر اسم الخليفة العباسي بدلا منه فريغ من بالقصر . وتولاهم الخوف والفرع . فدعا السلطان الملك الناصر صلاح الدين صديقه بهاء الدين قراقوش . وزوده بالأوامر لمواجهة الحالة الجديدة ، منها أن تزداد عنايته بالقصر ، فلا يخرج منه شيء أو تدخل فيه شيء إلا بأذنه ، ومنها أن يضاعف الحيلة لأهل الخليفة وذوي قرابته . وأن يخرجهم من القصر إلى مكان عينه له ترسل اليهم فيه كتبهم وأزوادهم فثقلوا إلى (دار برجوان) ، وهي دار كبيرة واسعة بالحارة المسماة بهذا الاسم من حارات القاهرة ومن تلك الأوامر التي تلقاها الأمير بهاء الدين قراقوش ، أن يعزل الرجال في القصر عن النساء لئلا يتداسلوا ويكثروا ، ويمتد ظلهم ، فيساعد ذلك على أن يعيدوا الدولة الفاطمية . قال "وأما الجوارى والعبيد ، فلك أيها الأمير أن تطلقهم ولك أن توزعهم ، ولك أن تطلق البيع فيمن بق منهم بعد ذلك كله ، حتى لا يزدحم بهم القصر " ، بذلك ختم السلطان الملك الناصر حديثه الذي ألقاه على صديقه ثم تركه يعود إلى القصر ، ليتولى بنفسه تنفيذ الأمر .

فباد الأمير إلى القصر ، وفتح عينيه يومئذ على كنوزه ، فن ملأ بفس وجواهر ، إلى قلائد ودرر ، إلى ياقوت وزمرد إلى مصوغات ذهبية وأوان فضية ، ومنسوجات مغربية ، و"صوان صينية" وأخرى منقوشة بالميناء ، ومن قطع ثمينة من الخزف ، إلى تماثيل عظيمة من البلور ، على هيئة الوحش أو الطير ، إلى حلل وثياب ، إلى طيب وطرائف ، إلى عقود من الزبرجد والجوهر ، الذي لا نظير له في العالم كله ، إلى تحف مصنوعة من خشب الصندل والعود والأبنوس ، إلى بسط خيطة بالذهب والفضة ، إلى ستائر وأغطية من الديباج ، وقد نسجت فيها الرسوم الفاخرة ، والصور الرائعة ، إلى كؤوس من حجر غال ، قالوا إن من خواصه الوقاية من السم وكانت هذه الكؤوس تصنع للأمرء والملوك ، لتوضع فيها الأثرية ، فيغير لونها إن كان بها شيء من السم . ذلك كله عدا

الأسلحة والسروج ، والخيم والبنود . وأما العرش الفاطمي نفسه فكان مرصعا بالدر والجوهر ، وكانت عتباته مغطاة بالذهب الخالص .

أما خزانة الكتب فقد ذهب المؤرخون أيضا إلى أنه لم يكن في جميع بلاد الاسلام أعظم منها ، فقد كانت بالقصر مكتبة مفهوسة ، فقيل يوما للامير بهاء الدين قراقوش . إن هذه الكتب قد عاث فيها العث ولا بد من تهويتها وإخراجها من الرفوف إلى أرض الخزانة وكان قراقوش جنديا لا خبرة له بالكتب ، ولا دراية له بأسفار الادب ، فأخرجها ، ثم ظهر أن هذا الطلب إنما كان حيلة مدبرة من تجار الكتب ، يريدون بها تفريقها وخطط أنواعها ، قم ذلك ، واختلطت كتب الأدب بكتب النجوم وكتب الشرع بكتب المنطق ، وكتب الطب بكتب الهندسة ، والكتب المجهولة بالكتب المشهورة .

وكان في خزانة الكتب مؤلفات يشتمل كل كتاب منها على تحسين أو ستين جزءا مجلدا إذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا ، ففرق الدالون هذه الأجزاء ، لتقل قيمة الكتب ، وتباع بأبخس الأثمان ، هذا مع أنهم كانوا يعرفون مواضع أجزائها ويستطيعون جمع شملها بعد شرائها .

وكان الأمير قد استأذن مولاه صلاح الدين في بيع هذه الكتب الهائلة ، فأذن له السلطان في بيعها ، ولم يظهر حرصه عليها ، لما زعم يومئذ من اشتغال أكثرها على كتب في عقائد الشيعة الفاسدة وآرائهم الدينية المتطرفة ، وهو إنما أتى إلى مصر لأغراض من أهمها محاربة هذه العقائد والآراء حتى لا يبقى في مصر من يميل إليها ، أو يابها لها .

فعمل الأمير بأمر مولاه في الكتب ، كما عمل بأمره في غير الكتب وجعل لبيعها في القصر يومين من كل أسبوع ، واستمر البيع فيها وفي ذخائر القصر مدة طويلة .

وكذلك نجح الأمير قراقوش في القيام بمهمته ، فحافظ كل المحافظة على نفائس القصور وذخائره ، وبذل عنايتها في صونها وكان أمينا كل الأمانة

في بيعها ، وجمع المال الحاصل من ثمنها ، وإذا صح أنه غلب على أمره في شيء من ذلك كله ، فهو "خزانة الكتب" وله في ذلك عذران واضحان : أولهما جهله بقيمة هذه الكتب ، وثانيهما خوف صلاح الدين من هذه المكتبة وإساءته الظن بها إساءة جعلته لا يهجمه من أمرها أكثر من جمع المال الحاصل من بيعها .

فاحتال في اقتناء هذه المكتبة ، وفي انتهاز هذه الفرصة النادرة ، كثيرون من التجار وأهل الأدب وكان نصيب القاضي الفاضل منها نصيب الأسد ، فقليل إنه ظفر يومئذ بألوف من الكتب ، أسس بها مدرسة فخمة سماها باسمه وخدم بها مذهب السنة ، الذي انهارت بسببه دولة ، وقامت له دولة ، وأتى صلاح الدين كما قلنا لنشره ، والفضاء على جميع المذاهب التي كانت تناقضه .

قراقوش منشئ الأعمال الحربية

كان بين الحكومتين الفاطمية والأيوبية فروق من وجوه ، يمكن أن ترد كلها إلى سبب واحد ، هو أن حكومة الفاطميين كانت حكومة مدنية ، أما حكومة السلطان صلاح الدين فكانت حكومة عسكرية ، عيّنت الأولى منها بنظام الدواوين واستكثرت فيها من الكتاب والموظفين ، على حين اكتفت الثانية بعدد يسير من هذه الدواوين ، ومن الموظفين . واستأثرت الحرب بجزء عظيم من عناية الدولة الأيوبية وذلك أن مهمة هذه الدولة انحصرت يومئذ في شيئين هما التغلب على مذهب الشيعة في داخل مصر ، ثم إحرار النصر النهائي على الفرنج وإجلالهم عن القدس .

من أجل ذلك احتاج السلطان صلاح الدين إلى منشآت حربية ومدنية كان من أهمها إنذاك إقامة الجسور ، وتطهير الترع ، وتشبيد القلاع والأسوار المحيطة بالبلاد ، لتقيها شر الغارات التي تأتي إليها من جانب الفرنج تارة والشيعة المنبشرين في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تارة أخرى .

ومن لهذه المشروعات الحربية العظيمة غير الأمير بهاء الدين قراقوش
يبدل فيها جهده وتعينه على البذل طبيعة له عرفت بالصبر والجلد، وعزيمة
يوشك أن لا يكون لها حد ، ثم مواهب هندسية سرعان ما كشف عنها
صلاح الدين وأفاد منها في حروبه فائدة ليس إلى انكارها من سبيل .

ولعل أول ما أقام الأمير من ذلك قلعة الجبل ، بناها على قطعة مرتفعة
تفصل من جبل المقطم وتشرف منها دلى القاهرة كلها . لم يقيم فيها السلطان
صلاح الدين . وبموته سكن القلعة من بعده ابنه العزيز ، ثم في عهد الملك
الكامل من ملوك بني أيوب ، ثم بناء هذه القلعة العظيمة ، واتخذت منذ
ذلك اليوم مقر للحكومة ، واستمر الحال على ذلك إلى زمن المغفور له
محمد علي باشا . ثم لم يكن إلا في عهد اسماعيل أن انتقلت دواوين الحكومة
إلى دور أخرى وسط مدينة القاهرة . غير أنه ما كاد الأمير قراقوش
يفرغ من بناء قلعة الجبل حتى اشتغل في بناء قلعة أخرى يقال لها قلعة المنس
وهي برج كبير بناه الأمير على النيل . وبني بالقرب من منه أبراجا أخرى على
النمط الأفرنجى لا النمط البيزنطى وسبب ذلك فيما يظهر أن صلاح الدين
اختلط في أثناء الحروب الصليبية بالفرنج المقيمين بالشرق في أثناء هذه
الحروب وعرف كيف يبنون قلاعهم وحصونهم ، ووازن بينها وبين
حصون الماطمين وقلاعهم فظهر له أن حصون الفرنج أصلح من الوجهة
الحربية . ثم ما كاد الأمير يستريح أيضا من بناء هذه الأبراج والحصون ،
حتى شغل نفسه بمشروع آخر هو إقامة سور عظيم حول مصر والقاهرة ،
قطع المجارة له من الأهرام الصغيرة وبناه تجاه الجزيرة على مسافة بعيدة منها .
أنبل الأمير قراقوش على بناء السور وبني فيه جامعا ، وحفر في القلعة
بئرا وكانت هذه البئر من عجائب الأبنية يدور البقر من أعلاها ، وينقل
الماء من وشطها وتدور أبقار أخرى في وسطها فيمتلئ الماء من أسفائها
وجميع ذلك حجر منجوت ليس فيه بناء وقيل أن أرض هذه البئر مسامة
لأرض بركة النيل وأن ماءها كان عذبا في أول الأمر ، ثم أراد قراقوش
الزيادة في ماؤها فوسعها فخرجت منها عين مالحة غيرت حلاوتها .

وكان هذا السور الذى بناه قراقوش هو ثلث الأسوار التى أحاطت بالقاهرة الى عهده ، أما الأول فكان قد بناه القائد الرومى جوهر الصقلى وأما الثانى فكان قد بناه الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى الفاطمى ، وكان هذان السوران الأولان قد بنيا من اللبن ، أما الثالث فقد بناه الأمير قراقوش من الحجارة ووقف عند قلعة المقسى ، لم يستطع أن يصلها بمصر .

عند ذلك كتب القاضى الفاضل إلى السلطان صلاح الدين رسالة طويلة منها قوله ” والله يحى الموتى حتى يستدير بالبلدين تماثله ويمتد عليهما رواقه ، فما عقيلة كان معهما لترك بخير سوار ، ولا خصره ما ليتجلى بغير منطقته نضار . والآن قد استقرت خواطر الناس ، وآمنوا من يد تنخطف ، ومجرم يقدم ولا يتوقف . . . “ فلما قرأ السلطان الرسالة سر بها وبخادمه بهاء الدين قراقوش ، وعلم أن الله تعالى يريد بدولته خيرا ، إذ قبض لها مثله ومثل وزيره القاضى الفاضل .

بذلك أصبحت لقراقوش خبرة بمثل هذه الأعمال الحربية الجليلة وكان السلطان كلما احتاج إلى عمارة قلعة ، أو تجديد حصن ، أو تقوية جسر أو إقامة سور ، أو بناء برج ، عهد إليه فى هذا العمل ، فقام به على خير طريقة . ولعل آخر ما قام به من ذلك عمارته لسور عكا سنة ٥٨٥ هـ ، وذلك فى أثناء المحنة التى مرت به وبالمسلمين .

قراقوش الجندى فى حصار عكا

كان قراقوش جنديا له شخصيته البارزة فى الجيش ، غير أنه كان ذا ميول حربية هندسية ، عرفها السلطان صلاح الدين ، فكان يؤثر أن يتركه لهذه الأعمال التى ذكرنا لك طرفا منها ويذهب هو إلى القتال ومعه قواده وأبطاله ممن كانوا يحسنون الكروا الفر فى الميدان . ومن أجل ذلك لم نسمع عن بهاء الدين قراقوش أنه اشترك فى حرب للسلطان إلا حين كان يدعو السلطان إلى إقامة الأسوار ونحوها ، فاذ ذاك لا يجد الأمير بدا من الذهاب معه .

ومضت السنون ، وانتصر السلطان صلاح الدين على الفرنج ، واستولى منهم على بيات المندس ، ثم تقدم في فتوحه ، حتى يسر الله له فتح حصن من أكبر حصون الفرنج ، وهو حصن عكا ، فملك السلطان هذا الحصن المنيع ، ولكن بد أن دفع فيه الثمن غاليا ، من المال والأنفس ، واستشهد في ذلك اليوم أخ للفقير عيسى الهكاري وأتى الناس يعزونه ، فانكر عليهم ذلك وقال ” هذا يوم الهناء ، لا يوم العزاء “ .

وكان سور المدينة تهدم من شدة القتال ، فرأى السلطان أن يترك المدينة والحصن للأيرقراقوش ، ويذهب هو لامتلاك الحصون الأخرى ، قبل أن يجمع الفرنج شملهم ، أو يأتيهم المدد من ملوكهم فيما وراء البحر . فبقى الأمير في هذه المدينة ، وبقيت معه حامية ليست بالكبيرة ، وسهر في إقامة ما تهدم من السور وعكف على عمله هذا بهمة لا تعرف الملل ، وعزيمة لا ياحقها خور ، وهو واثق من أمر الله الذي وهب للمسلمين النصر حتى ملكوا هذا الحصن ، لا بد أن ينصرهم وينبأ عدهم على قهر الفرنج ، حتى لا يجدوا بدا من الجلاء عن الشرق . ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حدث أن الفرنج بعد انهزامهم اجتمعوا في حصن آخر من حصونهم ، واتفقوا على أن يذهبوا بجوعهم إلى عكا ، حيث يظلمون محاصرين لهذه المدينة ، أو تأتيهم المدد الذي طلبوه من بلادهم ، وكان قصد الفرنج من ذلك أن يشغلوا بهذا الحصار بال المسلمين منهم ، فقد أصبح بينهم وبين أن يطردوا الفرنج من البلاد نهائيا ، أن يأخذ المسلمون منهم بضعة حصون كانت لهم على الساحل .

فغضب الحصار على عكا عامين ، ذاق فيهما الأمير والمسلمون مسعة الأمرين بل ذاقوا هناك أقصى ما عرفته المحنة الصليبية من ألم وتحملوا فيها أشق ما مر بها من جهد ونصب ، حتى لقد نفذت الأقوات من المدينة وكان على المسلمين أن يمدوا إخوانهم فيها بالطعام والميرة ولكن الفرنج كانوا كثيرا ما يحولون بينهم وبين هذا العمل ، الذي تتوقف عليه حياة المسلمين في هذه المدينة البائسة . فانتشر فيهم الجوع وفقر الوباء فاه ،

ليبتاع الجند الذين أصبحوا ولا قدرة لهم على مشقة الحرب ، والعدو مع ذلك يطهرهم وابلا من عذابه من خارج الحصن .

كل ذلك والأمير بهاء الدين قراقوش يصبر ويتجالد ، وكلما فكر جنده في التسليم للعدو مناهم وأملهم وشد عزائمهم ، وما يزال بهم حتى يرجعوا عن هذا العزم ، ويتقدموا شجعانا كعائتهم لإخافة هذا الحصن .

ومع ذلك شاعت الأقدار أن تخل هذا الأمير الصابر ، في الدفاع عن نفسه وشرفه وجنده في هذه المحنة القاسية . فأتى المدد إلى الفرنج من ملوكهم فيا وراء البحر ، ووقف ملوك الصليبيين صفوا واحدا أمام جيش صلاح الدين ، فوهن المسلمون يومئذ ، ودخل الملوك المسيحيون عكا وانهاوا على أهل المدينة نهبا وذبحا وأسرى ، وكان الأمير نفسه ممن أسروا ، وبقى في الأسر حتى أفرج عنه ^(١) حين عقد الصلح . وكان يوم الإفراج عنه يوم سرور عظيم ، إذ فرح به السلطان النرج كله ، لما كان له عليه وعلى الإسلام كله من الحقوق ، فبقى الأمير إلى جانب السلطان لم يفارقه حتى فارق السلطان هذه الدنيا .

قراقوش وابن مماتي

تلك صفحة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسمى ، وتلك أعماله المجيدة وبلاؤه الحسن في خدمة الدولة الأيوبية ، لم نذكرها كلها ، وإنما ألمنا بالهمم منها من جهة وما اتفق عليه المؤرخون جميعا من جهة ثانية فلم نذكر أنه اشترك في فتوح السلطان صلاح الدين بأوسع من هذا المدى الذي وصفناه ، ولم نذكر أن السلطان العظيم كان يعتمد عليه بين حين وحين في إخماد الثورات التي كانت تشتعل في القاهرة نفسها ، دفاعا عن الدولة الفاطمية التي انتهى أمرها ، وشاء القدر أن تقضى على يديه نجبا .

(١) أطلق سراح الأمير قراقوش في يوم الثلاثاء ١١ شوال سنة ٥٨٨ هجرية .

ولكن شاء القدر أن يساط على هذا القبس العظيم دخان كثيف يحول بينه وبين الناظرين إليه ، فلا يصل اليهم حتى يؤذى العين . نظره ولا يسر النفس أن تدنونه ، وهكذا الشمس المشرقة إذا اصطلحت على إخفاؤها السحب ، بل هكذا الحق الأبلج حين تكتننه الريب .

ذلك أن أدبيا جليل الخطر ، هو ابن مماتي ، عرف أنه كتب في هذا الأمير كتابا كله سخرية ، فانتشر الكتاب وذاع ، وتسلى بقرائه ، وتمعنوا بفكاهته . وحلت في أذهانهم هذه الصورة الجديدة محل الصورة القديمة ^(١) .

ولكن يكفى أن مؤرخا جليل القدر كابن خلدون يقضى على هذه الصورة المشوهة فيما كتبه عن الأمير الجليل ...

وقد لنظ الأمير قراقوش ألقاسه في مستقبل رجب سنة ٥٩٧ هجرية بالقاهرة ، وورى في ترتيبه المعروفة به بسفح المقطم .

(١) كتاب حكم قراقوش - الدكتور عبد اللطيف حمزة - مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وعن هذا الكتاب اقتبسنا هذا الفصل .

ولاية القلعة

أنرفت القلعة على جميع النظم العسكرية ، في خلال حكم الدولتين :
الأيوبية والملوكية ومنهض في أرجائها التظيم الحربى الباهر ، الذى اتسمت
به الدولة الملوكية في مصر . وقد عرف عن سلاطينها جهادهم المعروف
في مقاومة الصليبيين والمغول وكذلك الثمانين مدة ثلاثة قرون ونيف .

ونحن لاتناول هنا وصف هذا التنظيم الرقيق ، الذى تميزت به جيوش
السلطين الممالك في وادى النيل ، بل سنقصر الكلام على أسماء المادة
وكبار الموظفين الذين تولوا الاشراف على القلعة ، من حيث الإدارة
العسكرية والمحافظة على الأمن فيها .

كان يهيمن على القلعة ، في أيام الممالك ، ضابطان يختصان بوظيفة
الاشراف عليهما : أولهما نائب القلعة أو والى القلعة وثانيهما والى باب القلعة
(كتاب ديوان الانشاء الذى نقل عنه الأستاذ المستشرق كازانوف اويرجى
أن مؤلفه هو صاحب كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة —
جمال الدين أبو المحاسن تغرى بردى) (١) .

ويقول كازانوف إن الفصل الأول من هذا المخطوط الهام اشتمل على
ذكر الرتب الحربية الست الأولى لقادة الجيش المملوكى المعروفين بأرباب
السيوف حسب الترتيب التالى :

(١) المكتبة الأهلية بباريز — مخطوط رقم ١٥٧٣

١ — الأمراء المقدمين الذين يقودون حوالى الألف من المشاة أو مائة من الخيالة^(١).

٢ — أمراء اثنا عشر أو السبعينات الذين يقودون ثمانين أو سبعين .

٣ — أمراء الطبلخانة (الفرقة الموسيقية) ويقودون أربعين^(٢) .

٤ — أمراء العشرات^(٣) .

٥ — أمراء الخمسات قادة الخمسة^(٤) .

٦ — الجند وهم يكونون جنود الحلقة أو الممالك السلطانية .

(١) قيل للأمراء المقدمين — أمراء مائة مقدمو ألف — والمقصود بذلك التسمية المركبة وظيفة واحدة .

وكان أصحاب هذه الرتبة أعلى مراتب الأمراء . وشوهد أصحاب هذه الرتبة ، أيام المملوك ، يتولون جميع المناصب العليا بصر ، أمثال نائب السلطة ، ونائب النية ، ونائب الوجه البحرى والدوا دار الكبير والأسنادار ونائب حلب وما يضارع ذلك من الوظائف الكبرى

(٢) كانت لأمرأ الطبلخانة الأحقية فى دق الطبول على أبوابهم كما يفعل السلطان وأمراء المنات . ولكن على صورة مصغرة . ويظهر أنهم كانوا يسمون بأمرأ الطبلخانة لهم عن هم أقل منهم فى الرتبة وليس لهم طبلخانة . وفى الوظائف التى جرى أسنادها إليهم وظيفة الدوا دار الشانى ووالى القلعة ووالى القاهرة ونائب الإكندرية ونائب طرابلس وحما بالشام (محمد مصطفى زيادة — السلوك ص ٢٣٩) .

(٣) كان يشغل أمراء العشرات وظائف والى انفسطاط وشاد الدواوين ووالى القراقة

(٤) معظم أمراء الخمسات كانوا من أولاد الأمراء الموفين ، تعطى لكل واحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه ، وكانوا يعتبرون من أكابر الأجناد

وقد تكلم المؤلف ، فى المقصد الثالث ، عند تناوله الحديث عن أمراء الطبائخانة أنه كان عددهم اثنى عشر أميراً يحملون لقب هذه الوظيفة (أمراء الطبائخانة) تاسعهم نايب قلعة الجبل ، وواجبه المنوط به الاشراف على أعمال حراسة الأبواب والأبراج ، والمحافظة على المعتقلين ، والذخيرة ، وعلى فتح باب القلعة وغلقه ، واليه ترفع المحاكمات فى الدعة من عامته ، وهو الذى يدير أعمالها عند خروج السلطان ويلاحظ الأسوار والمنافذ ، وهو الأمر بعبارة ما يحتاج إليه (المخطوطة المذكورة) .

وفى المقصد الرابع ، عند ما تحدث عن أرباب الوظائف من أمراء العشرات وكان عددهم ثمانية أمراء — كان خامسهم والى باب القلعة وهو الباب الثانى بعد الباب المدرج وكان مسئولاً عن غلقه وفتحها ومراقبة حراسه وله بالقرب منها دركة وله جماعة تحت أمره يأمرهم بالأعمال التى يتخيرها لهم .

وقد كان باب القلعة ، فى وقت ما ، الباب الثانى فى الأهمية بعد الباب المدرج ، لأن باب السركان لا يستخدم إلا فيما ندر ، وكان باب القرافة المواجه لباب المدرج والذى يطل على جبل المقطم من الشرق قد أعمل أمره فى القرن الرابع عشر .

ولقد ظلت وظيفة نائب القلعة أو واليها محتفظاً بها حتى دخل الثمانيون مصر عام ١٥١٧ فأهمل أمرها ولم يصل الى علمنا اذا كانت قد استبدلت بأخرى .

هذه هى واجبات صاحب هذه الوظيفة ، وسندكر أهم أمراء الجيش الذين تقلدوها منذ إنشائها .

١ — الأمير دلاء الدين طبرس المنصورى والى باب القلعة المنسوب إليه العارة فوق قنطرة المجرن على الخليج الكبير خارج القاهرة ، وكان حاكماً حازماً توفى فى عام ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) .

٢ — علم الدين سنجر الأحمدي متولى قلعة الجبل في أول صفر عام ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) .

٣ — بيبس الأحمدي (الأوحدى ؟) عين في ٨ صفر ٧٢٠ هـ وعزل

٤ — كندغلي العمرى . ولى القلعة في الثانى من ذى القعدة عام ٧٣٦ هـ (١٢٣٥ م) .

وقد ذكر أحد المؤرخين أنه ولى القلعة هؤلاء الثلاثة :

عبد الملك الناصرى (٧٢٣ هـ — ١٣٢٣ م) ، ثم طار نطاي (٧٢٥ هـ — ١٣٢٤ م) ثم الأمير بهاء الدين (٧٢٦ هـ — ١٢٢٥ م) ثم نقل كندغلي العمرى في ١٥ ربيع الأول عام ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) الى نياية البيرة . وفي ٢٠ منه عين عز الدين ايدمر الزراخ أمير جاندار .

٦ — سيف الدين ايدق . عين في أول ربيع الأول عام ٧٤٠ هـ (١٣٢٩) وعين على باب القلعة أرغون شاه أمير عشرة وهو أول من يقابلنا من الموظفين الذين شغلوا هذه الوظيفة .

٧ و ٨ — وفي عام ٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م) عين اثنان على ولاية القلعة هما الأمير ارزان والأمير قطلوبغا الذهبى ، كما عين آخران على ولاية باب القلعة وهما الأمير كشلئ السلاح دار وعلى الماردانى .

٩ — وفي أيام السلطان شعبان الثانى (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ) كان على القلعة سيف الدين كلنيال الماردانى الذى مات في عام ٧٨٩ هـ وكان قد أنعم عليه بأمرة طباخانة كما ذكر المؤرخ الجوهرى .

١٠ — وقد ذكر مؤرخ آخر اسم الأمير سراج الجمشيدجوى عين على القلعة عام ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) عرضا عن طشتمر المظفرى بعد أن أضيف اليه إمرة طباخانة وقد مات سراج عام ٧٩٠ هـ .

١١ — وكانت مدة خلفه الأمير سبيع قصيرة في ولاية القلعة وقد سماه الجوهري والى القلعة .

١٢ — بجاش النوروزى نائب القلعة . وهو الذى وكل اليه فى ٢٧ صفر عام ٧٩١ هـ الأكد من شخصية الخليفة المتوكل .

١٣ — قطلوبغا السينى — ٧٩١ هـ — ١٣٨٨ م .

١٤ — جابان أنخى مامق .

١٥ — صارم الدين ابراهيم بن بارغى ٧٩١ هـ وحكم عليه بالسجن فى عام ٧٩٢ هـ ثم أفرج عنه واخلع عليه وأعيد الى وظيفة ولاية القلعة .

١٦ — لما جاس الساطان برقوق على العرش فى عام ٧٩٢ هـ عين الأمير سودون النظامى نائبا للقلعة .

١٧ — فى عام ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) عين الأمير قمارى الاسفغارى واليا للقلعة .

١٨ — الأمير كشيغا الجمالى (٨١٣ هـ — ١٤١٠ م) .

١٩ — شاهين الرومى (٨١٤ هـ — ١٤١١ م) .

٢٠ — عين الملك المؤيد شيخ — الأمير — بربك .

٢١ — أسندت ولاية القلعة للأمير ازنبغا الزرد كاش وكلف بتحصين القلعة وشحنها بالزاد والغلال .

٢٢ — تسلم القلعة الأمير يلبغا الناصرى .

٢٣ — ازدمر حيا (؟) فى عام ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) .

٢٤ — الأمير طوغان .

- ٢٥ — الأمير أحمد الملطى .
- ٢٦ — فى عام ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) تولى نيابة القلعة الأمير جقمق العلانى .
- ٢٧ — فى عام ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) ولى تغرى برمس نيابة القلعة .
- ٢٨ — فى عام ٨٣٨ هـ (١٤٣٤ م) خلع على ثانى بك نيابة القلعة الذى عزل سنة ٨٤٢ هـ ثم توفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .
- ٢٩ — قرر جقمق النورى فى نيابة القلعة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣٠ — خلع على الأمير ثانى بك البرديكى ، أحد أمراء الألو ف ، بنيابة القلعة فى ربيع الأول عام ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣١ — وفى عام ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م) عين تغرى برمش الفقيه — ويحتمل أن يكون هذا الوالى نفسه الذى ولى القلعة المرة الأولى فى عام ٨٢٧ هـ . وقد نفى إلى القدس فى العام ذاته .
- ٣٢ — وولى فى مكانه الأمير سيف الدين يونس بن عبد الله العلانى الناصرى الأمير اخور فى ١١ صفر عام ٨٤٩ هـ وقد مات بالطاعون عام ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) .
- ٣٣ — وفى عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) ولى قانباى الأعمش الناصرى عوضا عن يونس . وكان أصله من ممالك الناصر فرج .
- ٣٤ — بعد موته قرر تعيين سودون النوروزى السلحدار ، وتوفى فى السبعين من عمره ، وكان من ممالك نوروز الحافظ نائب الشام . جده الملك الأشرف اينال نايب قلعة الجبل بعد موت قانباى المذكور . فدام فى النيابة إلى أن مات سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٧ م) .

- ٣٥ — استقر كسباى المؤيدى .
- ٣٦ — فى عام ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) عين خير بك القصرى ، وفى أيامه قادر مقره فى باب المدرج ، وبقي باب القلعة بغير ضابط .
- ٣٧ — دین سردون البردبکی الفقيه المؤيدى عام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) وعزل .
- ٣٨ — تولى النيابة تغرى بردى ططر الظاهرى .
- ٣٩ — وفى عام ٩٠٣ هـ (١٤٩٧ م) قرر بيرس فى نيابة القلعة .
- ٤٠ — تولى الأمير قانباک أبوشامة .
- ٤١ — فى عام ٩٠٥ هـ عين جانبلاط .
- ٤٢ — خلع دلى الأمير ارزمک وصار نائب القلعة عوضا عن الأمير جانبلاط .
- ٤٣ — وفى ١٩ شعبان عام ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) عين السلطان طومان باى الأمير طوخ المحمدى واليا القلعة .
- ٤٤ — وفى أراڤال عام ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) كان الأمير طقطباى نائب القلعة الذى ظل ينهض بأعباء وظيفته الى ٢٠ رمضان ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) حين عين كبير الأمناء السلطان (حاجب الحساب) واخلع على ثانى بك الاشرفى
- ٤٥ — ثانى بك الاشرفى
- ٤٦ — الأمير خير الدين ، احد أمراء الجيش وكان آخر نواب القلعة دلى عهد السلاطين المماليك (١٥١٧) .
- وباتءاء الحكم المملوكى ، قضى دلى هذه الوظيفة الجليلية ، ولا نعلم إذا كان مجد دلى باشا قد أسادها فى أثناء حكمه .

مراجع الكتاب

- أبو شامة :
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . جزآن . القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- أبو المحاسن — جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكي :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . طبع ١٠ أجزاء — القاهرة .
- على مبارك باشا :
الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة المشهورة .
- عبد الرحمن الجبرتي :
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ . أربعة أجزاء
- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمتريزي .
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ . جزآن
طبعة النيل ١٣٢٤ هـ . أربعة أجزاء
- جلال الدين السيوطي :
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . مجلدان — القاهرة .
- القلقشندي :
صبح الأعشى ١٤ مجلدا — القاهرة .
- عبد الرحمن زكي (القائمقام) والدكتور زكي محمد حسن عميد كلية
الاداب في مصر الإسلامية — القاهرة ١٩٣٨

— عبد الرحمن زكى (القائم مقام) :

القاهرة — جزاء — القاهرة ١٩٣٢ و ١٩٣٥

القاهرة من المعز إلى الفاروق — القاهرة ١٩٤٣

الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير — القاهرة ١٩٣٩

— ابن اياس :

بدائع الزهور فى وقائع الدهور — ثلاثة أجزاء .

— محمد عبد الله عنان :

مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية — القاهرة — ١٩٣١

— حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية — جزاء — القاهرة ١٩٤٦

كراسات لجنة حفظ الآثار العربية — القاهرة .

١٨٨٣ — ١٩٢٠

— الدكتور عبد اللطيف حمزة .

حكم قوه قوش — مطبعة مصطفى الحلبي .

— مذكرات المرحوم الأستاذ حسن الهوارى أمين دار الآثار العربية .

— مذكرات المرحوم الأستاذ محمد بك رمزى .

المراجع الأفريقية

— P. Casanova :

Histoire et Description de la Citadelle du Caire ;
memoires publiés par les membres de la mission Arché-
ologique Française du Caire. Tome Sixieme, 1897.

— Professor K.A.C. Creswell :

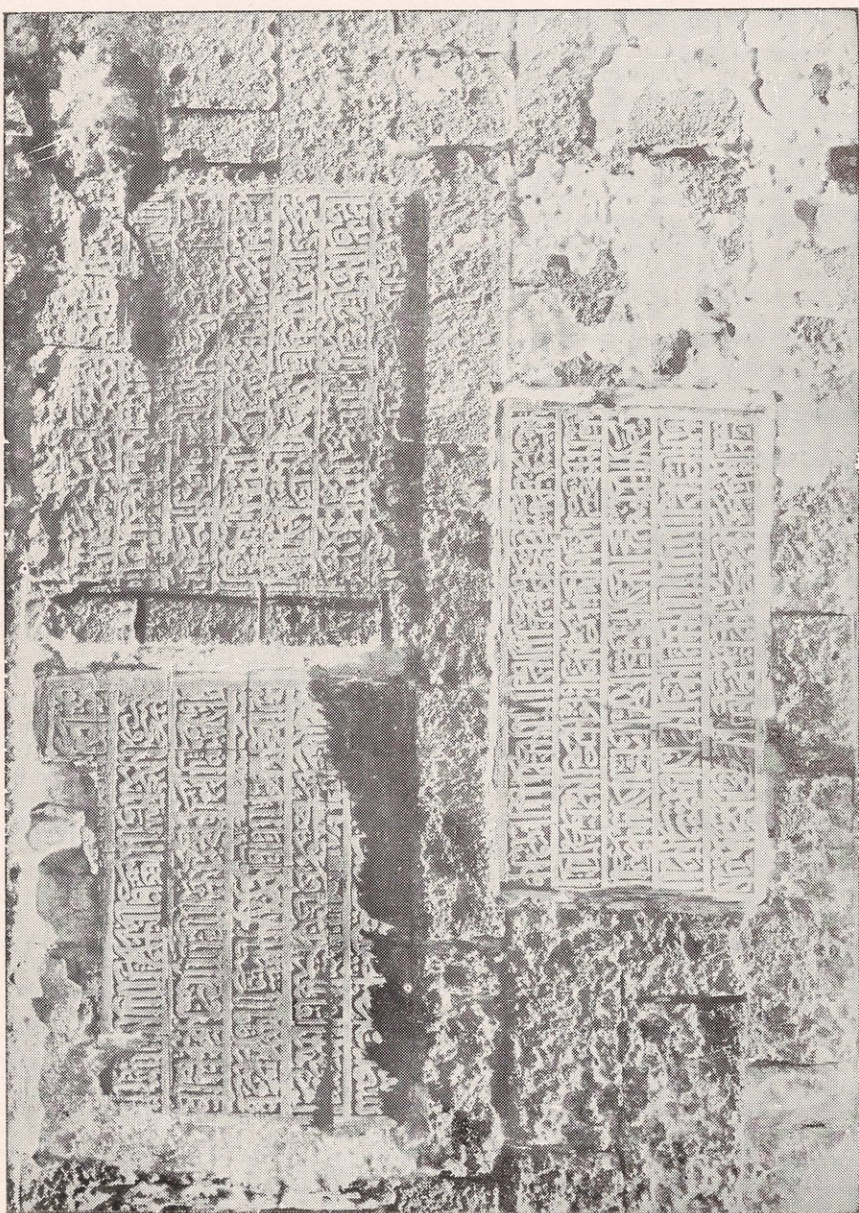
Archeological Researches at the Citadel of Cairo
Cairo, 1924.

— Description de l'Egypte, 2^e édition, Paris. 1821, t
XVIII et Atlas.

الجزء الخاص بوصف القلعة (ص ٣٤٧ — ٣٦٣ و ٥١٨ — ٥٢٢)
الذي كتبه جومار .

— Stanley Lane - Poole :

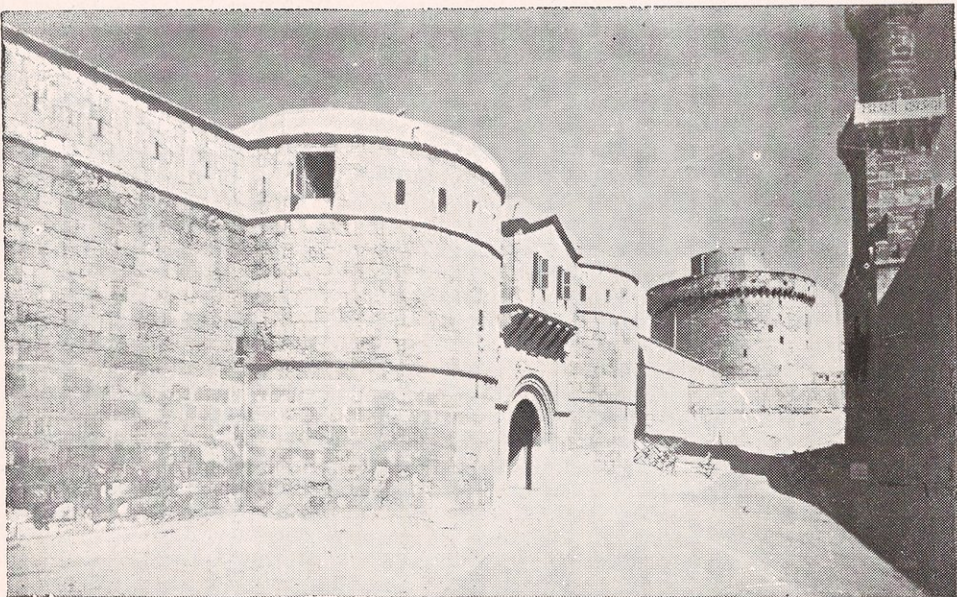
The Art of the Saracens in Egypt. London, 2, 86.



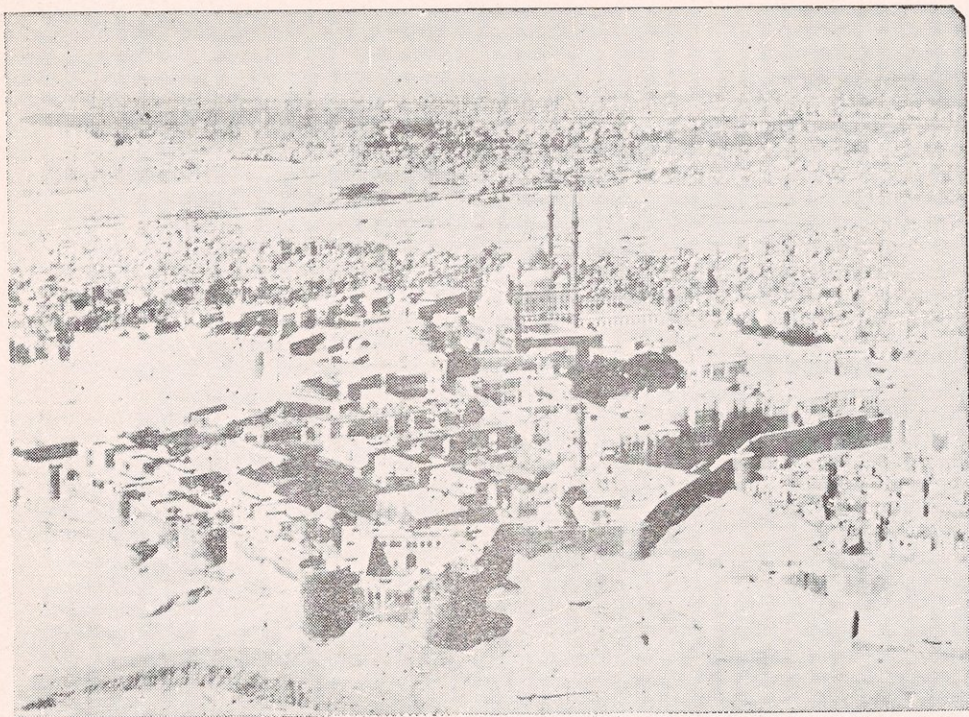
(شكل ٦ — الكليات المنقوشة على جدار باب المدرج)



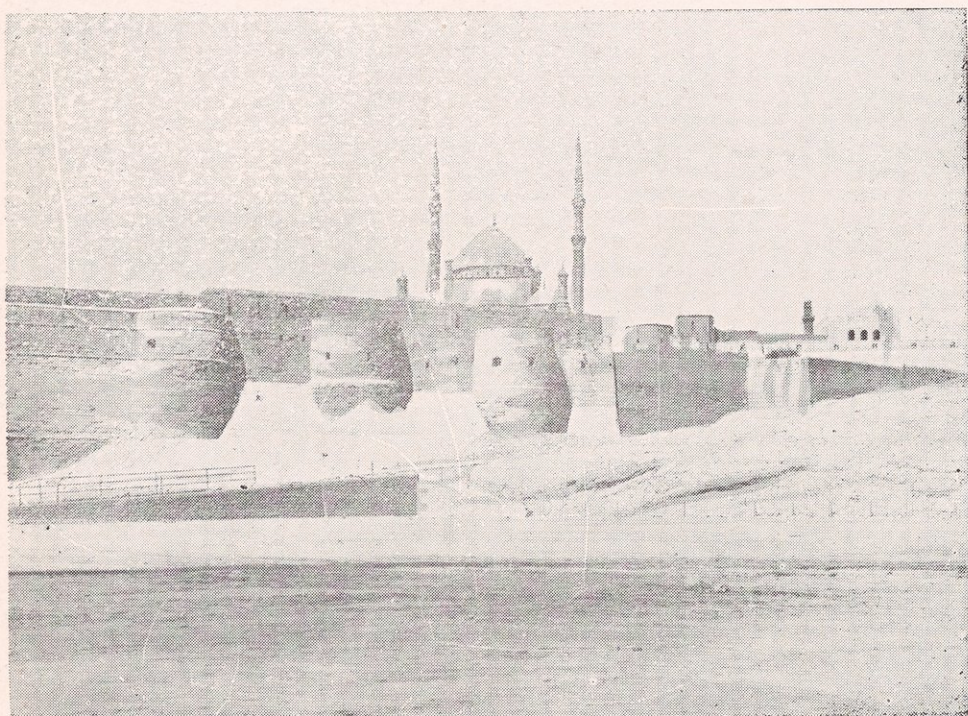
(شكل ٧ — الباب المتدرج)



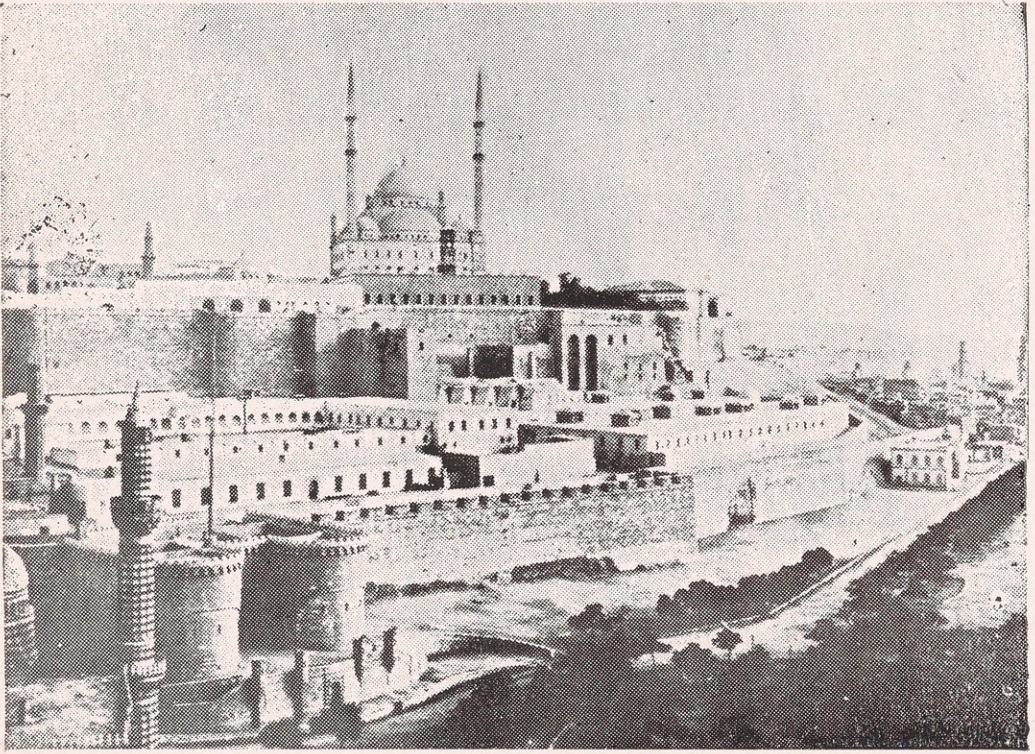
(شكل ٨ — باب الدفعة — أمام مدخل جامع الناصر الشمالي)



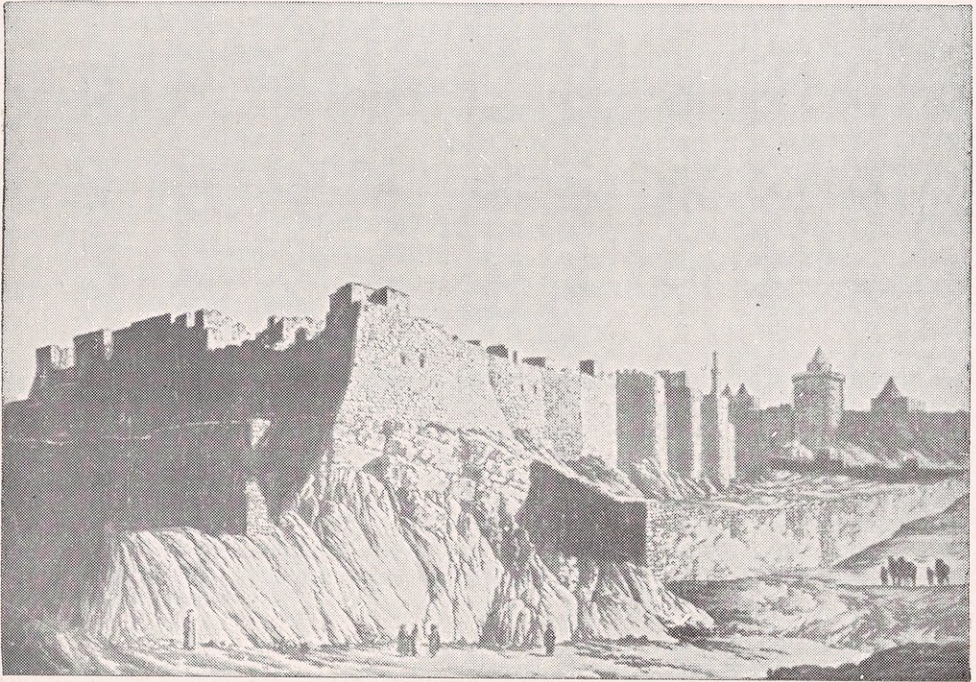
(شكل ٩ — منظر عام لقلمة من الجو)



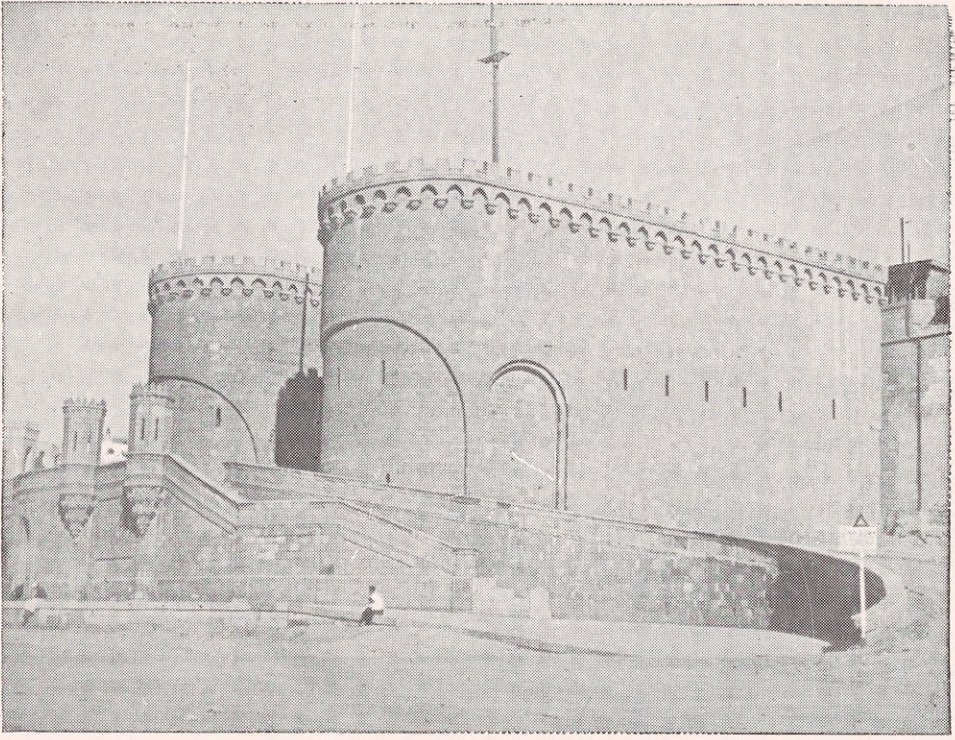
(شكل ١٠ — جزء من السور الشرقي لقلمة)



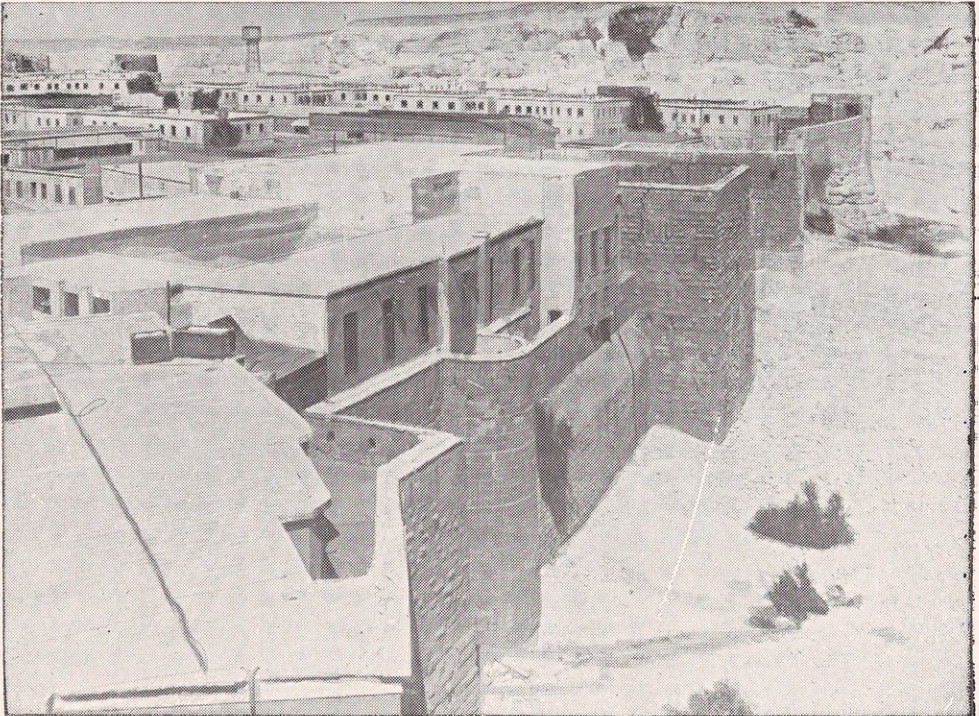
(شكل ١١ — مسجد محمد علي يطل على مدينة القاهرة)



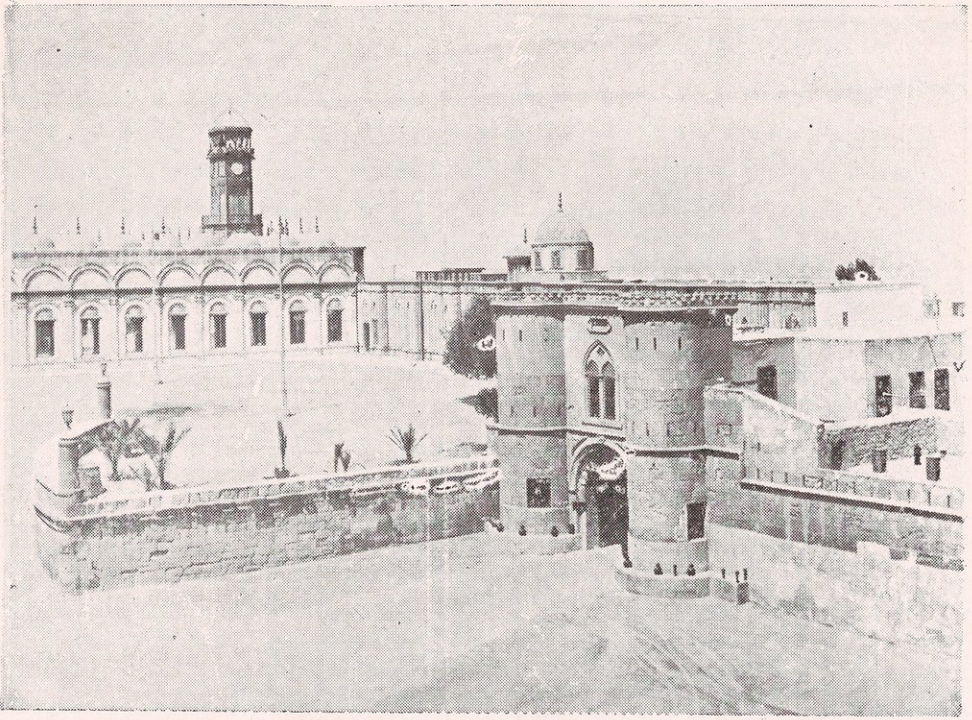
(شكل ١٢ — الجزء الأمامي للصور الشرقي للقلاع)



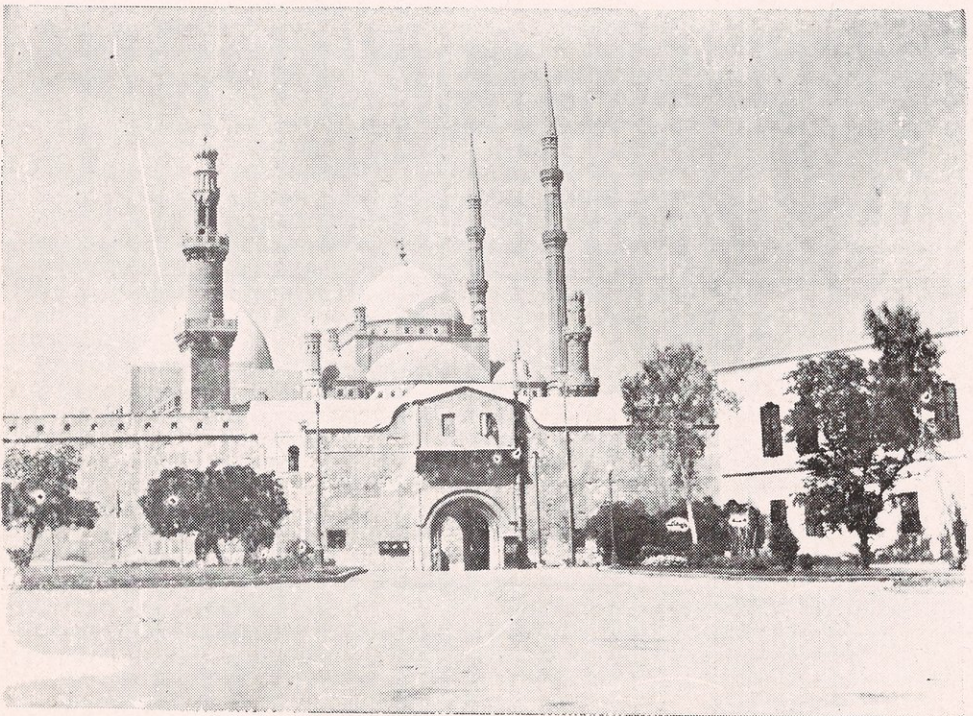
(شكل ١٣ — باب العزب المطل على ميدان محمد علي)



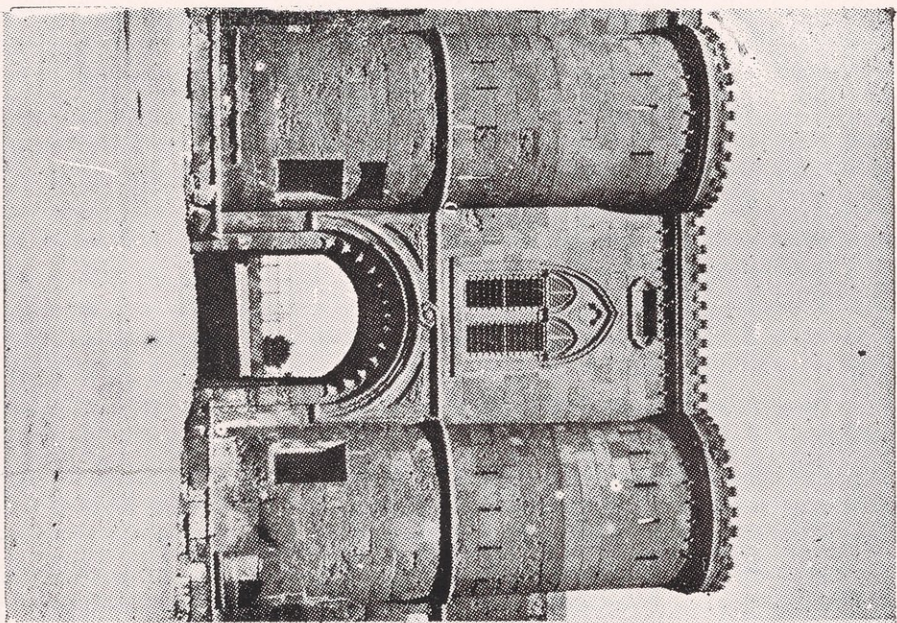
(شكل ١٤ — الجبل الشمالي لسور المملعة)



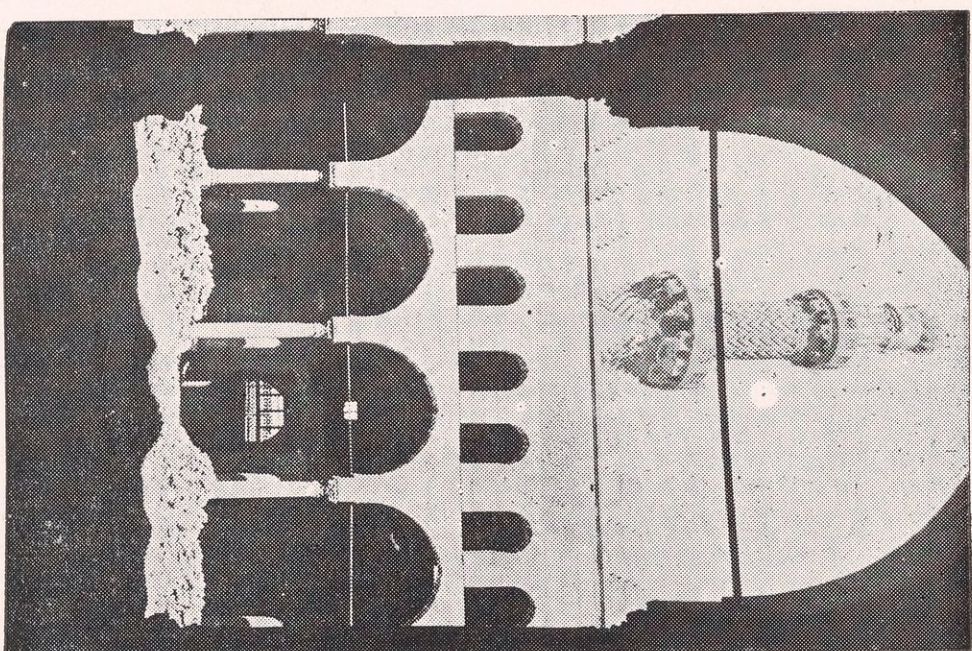
(شكل ١٥ — الباب المؤدى الى ميدان العلم)



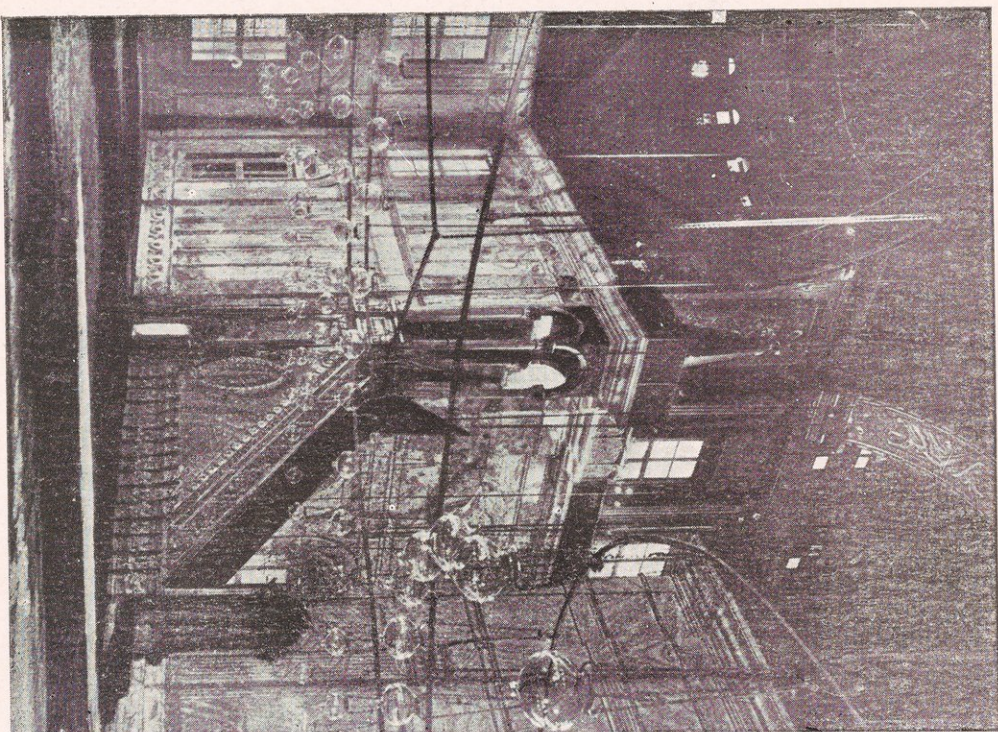
(شكل ١٦ — باب القلعة الداخلى المطل على فناء المتحف الحربى)



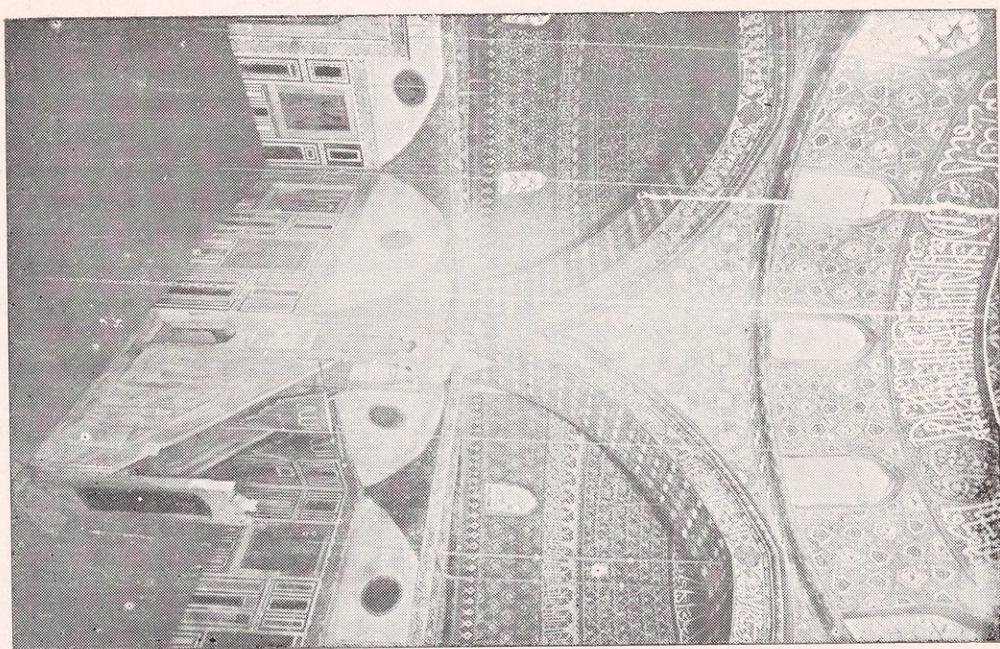
(شکل ۱۷ — باب میدان العلم)



(شکل ۱۸ — فناء مسجد الفخر)



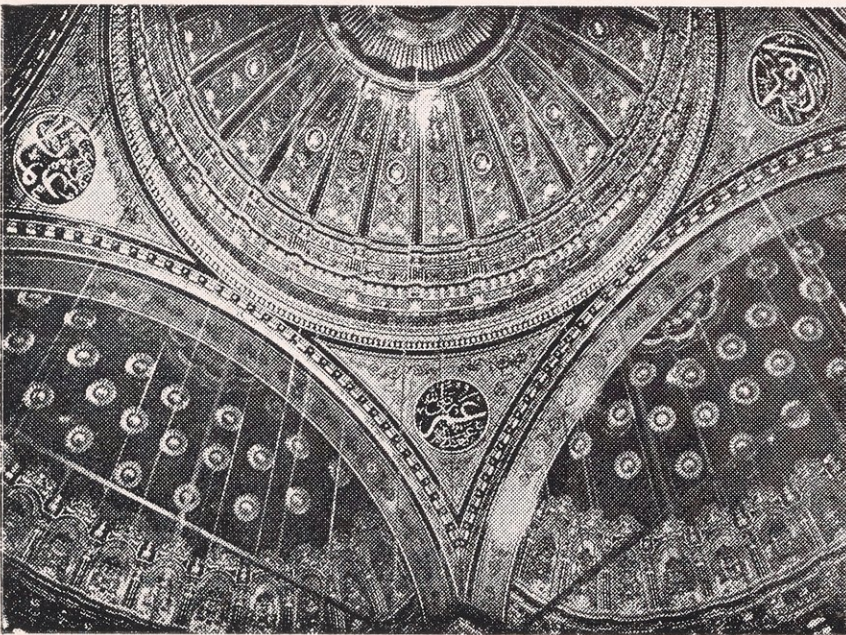
(شماره ۲۰ — مجلس موقت مجلس)



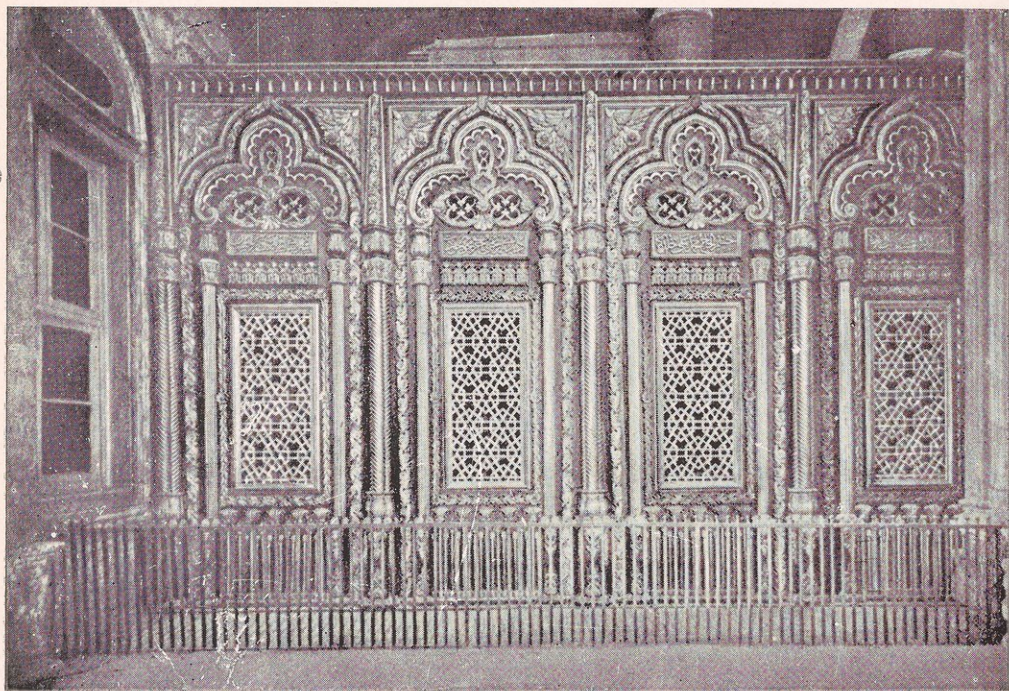
(شماره ۱۹ — مجلس موقت مجلس)



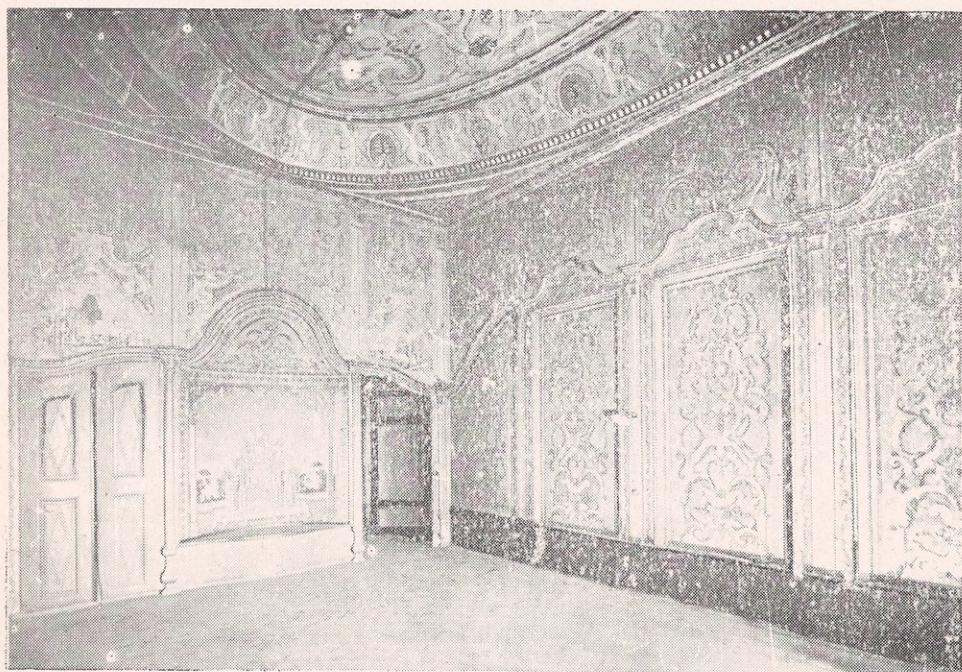
(شكل ٢١ — منظر عام لمسجد محمد علي)



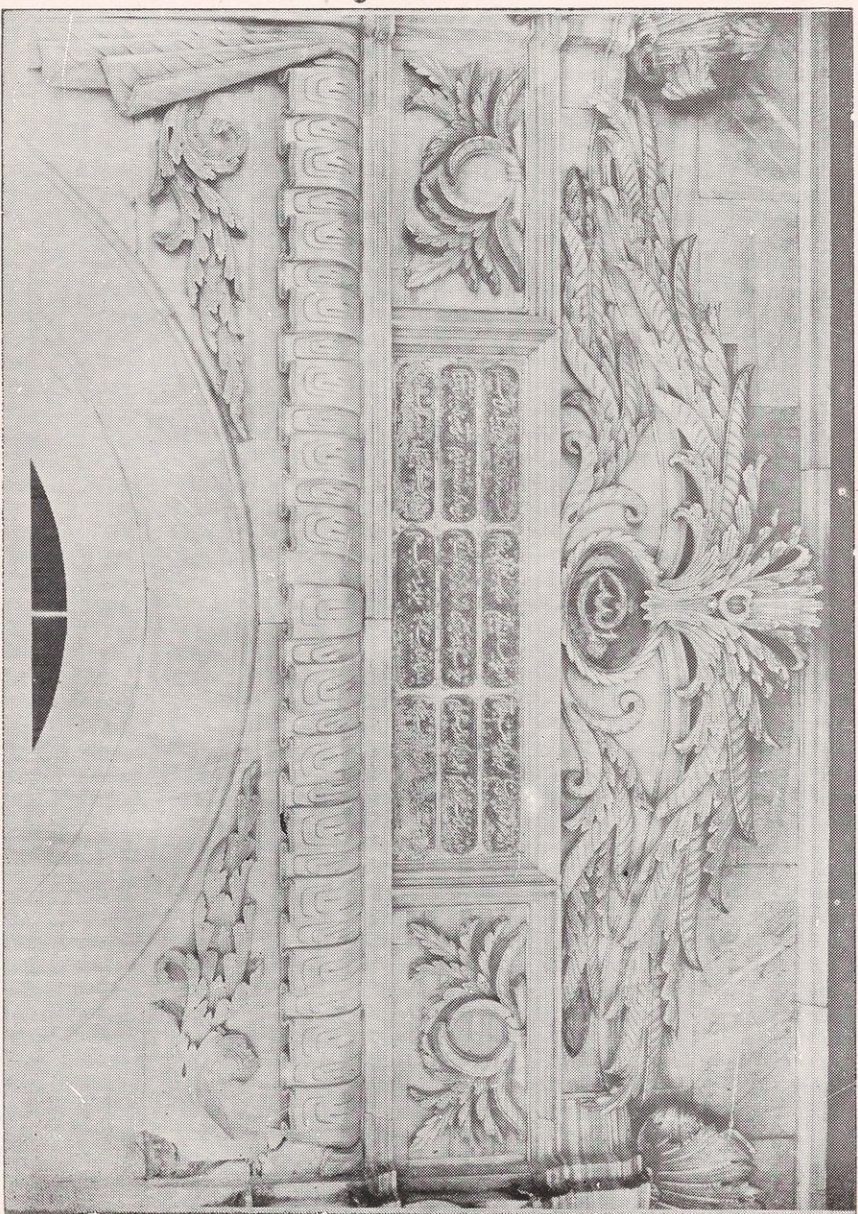
(شكل ٢٢ — نقوش القباب التي تعلو مسجد محمد علي)



(شكل ٢٣ — مقصورة ضريح انغفوره مجد على باشا)



(شكل ٢٤ — احدى قاعات قصر الحرم (المتحف الحربي))



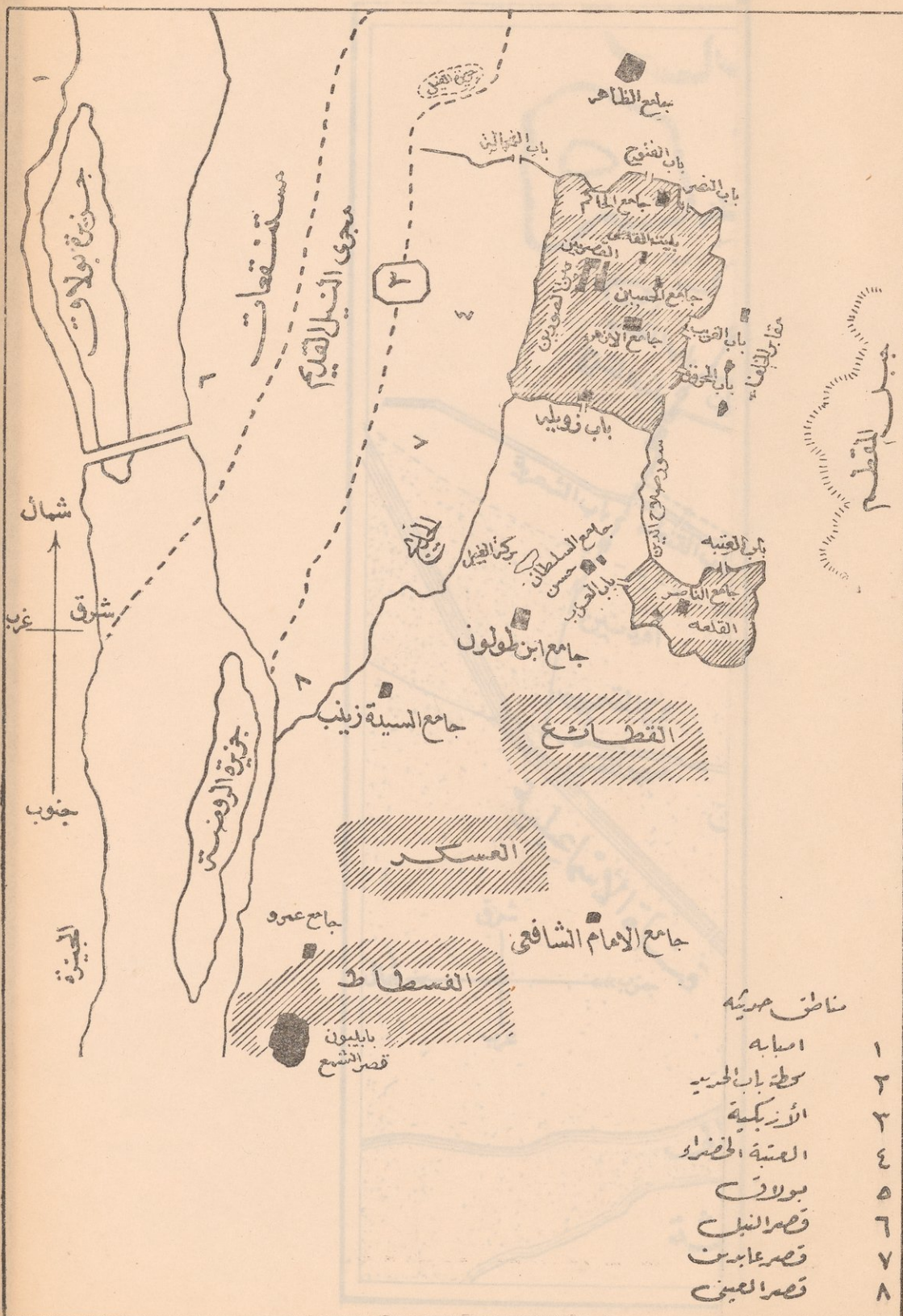
(شكل ٢٥ — احدى الكنائس المنقوش على باب قصر الحريم)



(شكل ٢٧ — رفع العلم المصري على سارية احتفالا بجمالات الثورة الإيطالية عن القمة)

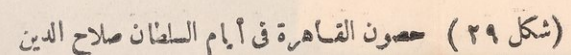


(شكل ٢٨ — حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول يوقع اسمها الكريم في درع العلم)



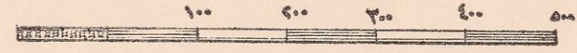
(شكل ٢٨ - عواصم مصر الإسلامية)

مقياس الرسم بالأمثارة



قلعة صلاح الدين

مقياس الرسم بالأقدام



ميدان محمد علي

القسم الأسفل من القلعة

ميدان العلم

قصر الخريف

المتحف الحربي

ممسجد سيدى سارة

برج الصحن

برج الحداد

برج الزمالة

برج الأمام

تكنات الحرس الخيالة الملكي

برج المقوس

برج المباط

برج المطر

برج الطفة

برج ككيان

برج المقطم

باب الجبل

مسجد السلطان محمد بن قلاوون

مسجد علي

قصر الجوامع

دار الضرب

723.3:Z21kA

c. 2

زكي

قلعة مصر من السلطان صلاح الدين

723.3

Z21KA

C.2

JAFET LIB

1 JUN 1977

723.3:Z21kA:c.2

زكي، عبد الرحمن

قلعة مصر من السلطان صلاح الدين ال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01029319

